نشوة عبد العزيز

مدينة لا تشبهني

رواية

يوتوبيا للنشر والتوزيع

مدينة لا تشبهني

نشوة عبدالعزيز

الطبعة الأولى :
ردمك (ISBN)00-00-000-9931-978

اسم العمل :مدينة لا تشبهني
النوع : رواية
اسم المؤلف(ة) : نشوة عبدالعزيز
التنسيق والإخراج الفني : عبدالنور شلالو
الإشراف العام: بعطوش عبد القادر
المدير العام: دحام فتيحة

الناشر : يوتوبيا
العنوان : شارع عبد الجبار بن علي- عين الحديد- تيارت- الجزائر.
البريد الالكتروني :yotoubia@gmail.com
الهاتف/الفاكس 046300433 - 0657142322

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص والنسخ
أو التعديل إلا باذن من الناشر

إلى موطن أفراحي وأحزاني جدتي فاطمة الزهراء وإلى أمي العزيزة وقرة عيني
وإلى من ذرفت الدموع فرحًا بصدور هذه الرواية أمي ذهبية .
وإلى كل من سندني في وقوعي وإلى كل من حاول إيقاعي ..

مقدمة :

« هذه المدينة لا تشبهها ! تتلحف البياض .. مضيئة أكثر من المعتاد .. صامتة هي كسكون جبل شاهق الارتفاع لا تصله الأصوات، عيونها تكتنز السواد وتلتحف الظلام لم تألف على هذا السطوع ! حدث ذات صباح أو مساء هي لا تذكر، آلفت أن لا مواعيد لها من بعد ما حصل ،كانت كل الأيام لا فجر لها، دامسة دامية هكذا كانت تصف الأوقات ربما حدث في يوم دامي أو غاسق لا تعلم أكيد لم يكن يومًا بازغ ، إلا أنها على يقين أنها سافرت... أيعقل أحقًا حدث ذلك ! الكل ظن أنها غادرته ، أيعقل أن ترحل ! تاركتا إياه ينزف ، كانت ملامحه متعبة .. منهكة .. كانت أشد لحظاته طلبًا لها وعدته على البقاء إلى روحه سندا، كان واثقا بها أنها ستموت معه، كان يظن أن الكل سيرحل إلا هي، ربما حاولت البقاء ، نعم بقيَّ على قيد الانتظار... آلمته الأسقام حاول الصمود لكنهم لم يتركوه .. جثوا على أنفاسه... أرادوا به قتلا ...هي كانت تنشد عليه الحبر، تطيب أوجاعه .. كانت تراسله .. لم تغفل ثانية على ذكراه سائلة إياه « أيعقل أنك نسيتني ! كيف تنساني ولا تبالي بذكراي ! أنا التي نحبت على بعدها عنك، أنا التي أشعلت نيران الشوق على لقياك .. أرجوك لا تنساني ..أرجوك »

« إذا كانت الحياة متوقعة ، فستتوقف الحياة،
وستكون بلا نكهة.»

إليانور روزفلت

كانت رنيم تبلغ من العمر الثامنة ، حين سمعت حديث والدها العازم على الرحيل مبتعدا للجزء الآخر من العالم تاركًا إياها ووالدتها هنا في هذه المدينة المشرقة ، تدخلت رنيم مسرعة

قائلة: « إلى أين ستسافر يا أبي ! »

رد عليها : « إلى مالطا يا إبنتي »

بدت الصغيرة حزينة على فراق عزيزها الذي لا طالما كان بهجتها الوحيدة وبعد مغادرته ستبدو لها الحياة خالية الإبتسامة ، عديمة السند ، وحيدة لا ظهر لها ..

في أحد أيام الصيف الحارقة ، إتصلت رنيم بوالدها سائلة إياه عن موعد عودته بعد سنة من الغياب ، أخبرها أنه عائد في الغد سينزل في المطار على الساعة الثانية ظهرا .. راحت تصرخ في البيت « أمي أبي راجع غدا ! أمي .. » تزين البيت لإستقبال الغائب الذي مكث في الغربة وكم من غريب لا رجعة له يتكبد الإشتياق بنا ويضرجنا بالدموع إلا أن لا موعد لطائرته ولا مطار لنزوله ، كانت عودة والدها البهجة الغائبة التي رجعت إلى أحضان الجميع ..

جمعهم إليه وراح يحكي لهم ماجرى له في مالطا .. كانت تتعالى الضحكات و الفرح كان يضيئ ذلك البيت بعد أن وجمت فيه الاصوات ..

إلا أن بعد سنوات من هذا المشهد .. بات ذلك البيت أشد ظلمة من سماء في ليل غاشم خفيت عنها النجوم وغادرها القمر مستترًا ..

في ذات يوم شتوي ممطر ولدت بنت اسمها رنيم كانت مثل السحابة الآتية بالخير على أهل الأرض ، في ذلك اليوم احتفى الكوكب بوصول منقذته لكن لم يستمر ذلك طويلا إلى أن أصبحت دفينته، أيًّ كانت فهي إحدى ضحاياه التي ذرفتها أمواج الحرب بعيدًا حيث مياه البحر لا يلتقيان ...لم تبتأس قاومت إلى أن أصبحت نصف إنسان ونصف وطن تحمل في ذاتها قلبان ، قلب امرأة وقلب وطن متغرب حاولت البقاء لكنها لم تغدو إلا منكسرة أكثر، جربت أن تصمت في وجه الشدائد إلا أنها ولدت من أجل أن تقاسي ، تكافح ، تنازل ، كأن في هذا العالم الكثيرون ولدوا من أجل المعاناة، تكللت حياتها بالمصاعب والمهالك إلا التضحيات، الدنيا مليئة بالمفاجآت وقصتها مليئة بالقذائف و العبرات و الحب و الفراق و الحبر الذي أضحى أول ضحايا حروبها التي خاضتها ، لم تكن تعلم أن ما كان ينتظرها بحجم كل أمطار ليلة ميلادها أجثت على ورقها تخيط الأيام والظروف و الكلمات لعلها تجد مخرج من المتاهة التي أوقعت فيها حينما أرادت ذلك لم تجد الخيط و لا القماش وجدت نفسها عالقة بينهما ..

الوطن تدمر.. تمزق .. أحرق .. أزهق .. أمرق ..تكدر.. لاوجود لكلمات لوصف حاله .. يشتكي ويَنحُب لما قتلتموني ؟

الأرض وقعت على ركبتيها تشتكي: « كل جسدي أُسلخَ .. قطعوا لي قدمي و اقتنصوا لي عيوني أصبحت لا أبصر.. غدت كفيفة لا أستطيع الهروب لا طريق لي ولا مخرج ، زجوا بي في غيابات الظلام ، المكان حالك من حولي ، قاتم ، عابس .. عاتم .. هل من منجٍ ! » سمعت السماء صرخاتها فنادت «لا تبكي يا صغيرتي ، فالكل عائد إليكِ مهما طال البعد.. سوف تحضنهم ..

ستقبلينهم .. ستكونين لهم أم وأب .. »

خراب ، لم يقتصر الإتلاف على البيوت والمباني و الأجساد بل تسرب وحش التحطيم للنفوس.

النفوس أزهقت هنا وأنهكت من تعب المشوار الذي يطول كل ثانية مئات السنوات ، كادت العقول تنشد الجنون من هول المشاهد من حولهم ، هي لا تدري كيف حدث ذلك ! لكن الواقع يخبرها بما جرى، أيعقل أن لهم سيوف مارقة أو أنهم يأتون فوق فيلة حاملين رماح حارقة !

هي لا تدري كيف يمكن أن يحصل هذا لكن الواقع فضيع كيف تتساءل حتى لا وجود الوقت الكافي التفكير، نهرب و نتشرد في كل لحظة نحن نعيش على حافة من القهر والجوع .. والموت يداركنا في كل ثانية ذلك الشبح الذي لن نسلم منه يراقب خطى أقدامنا فنحن سائرين وإن جاء فمرحبا ففي الحرب الموت بدًا و من العار أن يموت المرء جبانًا ، كل ما يحيط بنا يذكرنا بأننا لسنا بخير نحن نصارع الواقع في الحقيقة نحن في مصارعة لأنفسنا ولابد أن لا نهزم لا نزال في غمار الملحمة يقودنا الدافع إلى الهاوية أو إلى النصر لا نعلم نحن مجرد أشخاص أو أرقام أو حروف، ربما نحن لا شيء في قانون الحرب نحن ضحايا أو مدنيين ربما نحن مجرمين !

أجرمنا لأننا لم نرحل على هذه الأرض التي قسمت أن تبقينا على قيد الحياة، أجد نفسي قريبة من الجنون حين أكتب أننا على قيد الحياة ، أيعقل أننا لا نزال على قيد ! نعم نحن على قيد ولسنا على حياة ، السكوت لازمنا و أغلق أحلاقنا لم نتكلم منذ سنتين ولا يوجد من ينصت لنا ، نحن فقط من نسمع

ماذا نسمع؟ تلتقط الآذان ترددات الصراخ والانفجارات، تصفير الصاروخ قبل الارتطام هذا ما تنصت له نود أن نتكلم ،هل لنا آذان صاغية ،سأتكلم « لم نرضى بهذا السيف الذي أغرز فينا كان الوطن لنا ذرعًا حصينا كيف غدى لنا مقبرة جماعية؟ صمتنا لكنهم هم من ألجموا أفواهنا .. لا صورة واضحة هنا الكل يقاتل جهات متعددة صواريخ نازلة ، قنابل متفجرة مجازر متفرعة ، قتلى مجهولين ، جنود متلثمين ،ماذا عن الوطن ؟ تدمر هذا يكفي أليس كذلك ؟ أما عن البشر فماتوا...

ألا يقبل ، ماذا عنك ؟ أنا أقاتل ! حرمت الاستسلام على نفسي فالحروب تخاض بالنفوس قبل الأجساد ، الرضوخ في غمار المعترك ضعف ووهل يصبح المرء كخروف يتبع قطيع الغنم في سيرها رغم أنه لا يعقل إلى أين يتجه المسير إلا أنه يبدو مطمئنًا القطيع السابح في الظلام الكادح ، لن نرضخ للخوف سنبقى هنا رغم كل المحالك !

لازم الوطن هو كذلك المصارعة ولم تسكت الأحداث فوقه ولا لحظة .. أسيصمد ! ربما نعم لعل أنه صمد من قبل هذا ولم ينهزم له شعب جبار إذا مات بقي أثره يصارع ،تعلمنا أننا مدينة يصعب أخذها ..

هنا لم يبقى شيء على قيد الحياة سوى بعض الجدران العارية و الكثير من الحجارة المرصوصة فوق بعضها وبعض الهياكل الشبه بشرية تمشي وراء بعضها وكأنك في مدينة لا أرواح لها! لا وجود للحياة هنا كل شيء يدعو للفناء، نحرص على أن نبقى نتنفس لنبقى على قيد مدينة يتنفس أهلها دخان الهلاك القاتل الأطفال أول ضحايا الفزع الأكبر وإحدى ممثلين الصف الأول للحرب الدامية.

- إلى متى يا أختي ؟
- ستنتهي عن قريب

في يوم داجٍ مسود الملامح صعقنا بنار المقتتل حينها احتدمت المشاعر وأخفقت الأرواح وسلبت الأجساد وغدت الحرب أول من قرع علينا الأبواب ، حينها أصبحنا لاجئين ومشردين ، حينها أصبحنا غير مرحب بنا أغلقت في أعيننا الأبواب .. يومها صرنا يتامى وثكلى ومعاقين بلا مأوى ، لا ندري كيف كانت الأحداث تتصارع والمعركة احتدمت ولجنا نحو البحر والبر عسى أن نجد مخرج ..الحرب لعنة و الأرض نعمة و الموت شهقة ..

اشتقنا لأدق التفاصيل في هذا الوطن بعد سنة من المهالك، اشتقنا لسماع صوت آذان المساجد ، أجراس الكنائس ، أصوات العصافير، أصوات قهقهة الأطفال في الشوارع .. قصص النسوة ... آه يا إلهي كم اشتقنا ورغبنا في العودة إلى سنتين قبل هذا اليوم .. أصبحت الانفجارات تحية تلقى في أي وقت .. لا موعد لها هي فقط تلزم المتلقون بتبادل التحية بصرخة وفي العديد من المرات يستقبلونها في صمت ..صمت دفين قاتل .. هذا الصمت العنيف يغدوا لأيام و أسابيع وشهور بدون انقطاع.. نترقب دورنا فقط .. متى ستصدونَ الحرب يا ترى ؟

«مرحبًا ، يا أطفال أنا أستاذتكم الجديدة رنيم الحلبي .. سنمضي من أجل إحياء الحرف و دفن الجهل»

هكذا افتتحت أول حصة تدريسية .. نحن نقاوم دومًا في أعداء لا يؤمنون بالحبر ولا القلم ، سلاحهم رصاص فتاك ..التعليم في عقيدتهم ظلال مبين ،

تعرضنا للتهديد والتهميش و محاولات للقتل إلا أننا لم نكف عن بعث شظايا من النور إلى عقول الأطفال كي تضيء الظلام الدامس الكابح في داخلها .. تعودنا من بين الفترة والأخرى أن نتلقى خبروفاة ملاك قتله إبليس بحجة أنه من أعداء الله ليعم الحزن في كل أرجاء المدرسة .

كان كل ما يحيط بنا يدعو إلى الخطر، بيتنا في الطابق الرابع ربما عمارتنا فقط التي سلمت من القذف يمكن لأن ساكنيها لا يهابون الموت ، تقابلنا بنايات شبه كاسيات و جدران مخروزة بالرصاص والبارز على لونها السواد .. « حلب « على وشك الانتحار، الآن هي على الاستعداد على الوقوف على حبل المشنقة .. سيعدمونها هي لم تنتحر! كما أعدمت إدلب و حما و طرطوس ستعدم لا مهرب من المشنقة من يجرأ على الوقوف في وجه الجلاد يا ترى لا أحد ،نحن كلنا تحت أمره ننتظر في حكمه الذي لا عجب حتمًا أن يكون الموت أو الخلاص ، نحن على يقين أننا لن نخرج من هذه الأرض التي أريقت فيها دماءنا الطاهرة كطهر ترابها المتيم .

بعض الكلمات تردي بالنفس قتلا بعد لفظها وإن عاشت في دواخل النفوس فتعيش قاتلة القلب ، كاتمة الأفراح.. ستلعن أنك مجنون إن لفظتها .. ولربما سفيه .. أو خائن .. فيقطع لسانك الذي نطقت به فقط لأنك تكلمت في زمن مسكوت عنه ! أنت تسمع أشياء لاوجود لها .. الكل لايسمع شيء ! إلا أنت ؟ لماذا ! ربما أنني أتخيل أنين هذا مايطلقون عليه هلوسة سمعية ! نعم ربما جننت أنا على حافة من النهاية حيث سألقى حذفي أخيرا .. مللت من سماع الكثير من الأصوات التي أريد أن أكتمها.. أريد أن أنام بعمق .. أنهمر على الأفرشة كما لم أسند جثتي من قبل .. أبحث عنه فقط .. مضجعا لا رجعة

بعده .. نهاية سرابية تزيل كل هذا الألم العميق الذي أتوه فيه .. وما السبيل ياترى لعنتني الحرب بالجنون هذه اللعنة ابدية و أقسى بلاء أن ترفع صوتك في وجه الرصاص ..لابد أن نصمت وأن نسمع ولا نحرك ساكنا .. نتنفس فقط فلهذه الحرب آذان غائضة سالبة للأرواح .

يقولون أنهم أكِلوا لحوم البشروقالوكذلك أنهم يعبثون بجثثهم إلى المحرقة وحتى أنهم يحرقون أجسادهم حية لذلك نحن نهرب ، دائمًا يقود بنا والدي إلى مكان آمن إلا أننا دائما تصادفنا مشاهد لا إنسانية وكأنهم زومبي مخدرون يسيرون على خطى الوحشية يقتلون ويأكلون الأجساد قبل الأرواح .. كنا في مسلسل لا تنتهي حلقاته نجري في الطرقات ، نرتعب من صوت الانفجارات ، وصلنا لمرحلة القول هل نحن قريبون من الحلقة الأخيرة ؟كنا نرى نهايات الناس أمامنا رجل يقتل وزوجته تنحر بطنها ويخرج منها الجنين ويقتل هوكذلك والبنات يأخذوهم سبايا حرب كانت المشاهد فضيعة كنا نتحمل المشاهد ونبلعها كما نبلع العلقم ونتخيل كيف ستكون نهايتنا .. الشر هو ما يحيط بنا وكل أصنافه بعد أن زال الخطركنا نعود أدراجنا إلى البيت حيث نلتجأ ونحن في مدخل المجمع السكني، مرت على عيوننا جثث ملقاة على الأرض لم نلاحظ منها إلا كتل الدماء التي تحنطهم ومر على مسامعنا عويل الأمهات وصراخ الاطفال لفراق ذويهم حتى نحن كنا نبكي كانت أمواج من الدموع تنزل كالأمطار على عمق المشاهد وحدتها ، كان يوم نجاتنا منهم .. كانوا يقيدون قلوبهم بأغلال يستحال فكها.

كانت النسوة تتربصن في البيوت لأيام و شهور وأعوام ، كن يلتحفن السواد ، لا حرية ولا اختيارهنا الكل يخضع لحكم الحرب ولأوامر مسيروها

نضيع أنفسنا ونلتقي بها فجأة بعد أن نهشتها الأحداث و الأيام البالية والذكريات تؤرقنا، وحده الخيال يفتح لنا الحواجز و الطرقات ، تبقى وسيلتنا الوحيدة للنجاة تنقذنا من الظلام الذي يحاصرنا ويرعبنا ربما كدماته يصعب شفاؤها ولو مرت عليها السنين تبقى تروي أحداث صعبة الوقوع والوجود، ربما أنها تحدث فقط فوق أرض المعارك هذه التي يحتشد فوقها مهرجان من الدماء و كرنفالات التعذيب تمشي حذو بعضها على طول الشوارع الكبرى و الصغرى تلف كل الأزقة والبيوت دون ترك إحدى الممرات ..رافعة أبواقها عاليًا .. منشدة أغاني المحتضر..هي لاتنسى أحد إلا واسعد روحت حتى يرتقي إلى جنان الفردوس و في الكثير تسجن الأرواح في جنان ساحرة..

الأحلام تضيئ لنا مدن أدركها الظلام ، لف حول عيونها قماش أسود وربط بإحكام إلا أن لذلك القماش ثقوب تسلل من خلالها الضوء فأدركت العيون النور بعد أن أحتكم من حولها الاسوداد

نحن الحالمون بيوم تشرق فيه الشمس على كمَّ هذه المدن الغارقة في الظلمة و غربيب الليل الذي لم يبزغ بعده فجرًا ! تلتحف الحزن .. عليلة تبكي .. سوريا تنزف .. الخيال وحده من يبعدني عن هذا الجرح النازف .. نحن نحلم من أجل أن نعيش، لم نكن على موعد مع كل هذا التقينا صدفة في إحدى الأمسيات ولا كل الأمسيات الجهنمية مجموعة من الرجال يغلب عليهم السواد رافعين أعلاما مكتوب عليها شعارات غزيرو اللحية يحسنون القيل ويسيئون الفعل يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء .

كان يوم ذعردامي ، كل من في البيوت خائفون من الرعب الآتي ، تأقلمنا مع

الحياة الجديدة التي يملأها الخوف والذعر كانت لي صديقة إسمها نور ، فتاة هادئة ومشعة أملاً تغلب على ملامحها الطيبة تعيش وحيدة بعد أن فقدت والدتها في حادثة في أحد المعابر القابرة ، أمها خرساء لاتفقه قولاً قتلت لأنها لم ترد على أحد الملثمين لسوء حظها أنها كانت خرساء حتى غدى الخرس لعنة حرب ونطق الحكم أما والدها فتوفي منذ زمن بعيد عن الحرب ، آلفت الوحدة وقسمت عليها أن تستند عليها تتقاسم معها الأيام و اللحظات وفي المجمل تأنس برفقتها، رغم أنها تشتكي منها في بعض المرات وتصرخ في وجهها « لماذا أنتِ هكذا ؟ تلازمين أنفاسي .. أتركيني وشأني .. لا أريدك في حياتي ..» لعنة الوحدة ترافقها دومًا حتى أن الكثير تقدم لخطبتها لكنها رفضت .. الأسباب تعددت إلا أنها تريد رجلاً سندا هكذا تقول دائما ..

في يوم مشرق ، بزغت الشمس على هجوم مسلح على المدرسة ساد الرعب في الأرجاء ، تناهى إلى أسماعنا صوت رصاص قوي بدى أنه يلقى في الهواء .. « فصائل من الجماعات المسلحة « على مقربة منهم وانتاب في القسم نوعًا من الرهب والصمت ، أخذت نور تهدأ في الأطفال ، طلبت منهم الاختباء تحت الطاولات أوصدت الأبواب إلا أنها لم تنجح في حمايتهم ، ضربت الأبواب بعنف حتى سقط منهمرًا على الأرض حتى خيل لنا أنه كمن ضرب إنسان وجثى على الأرض قتيلا .. اقتدوهم إلى الساحة حيث سيلفظ الحكم تقدم أحدهم ، تبدو على ملامحه القسوة ماسكًا في يده رشاشة قال مخاطبًا الأطفال « هذه المرة لن نأخذ أجسادكم إلى جهنم لكن إن عدتم لهذا المكان فسنجعله محرقة لأجسادكم الصغيرة ..! »

بعدها توجه أحدهم ضاحكًا تعلوا عيونه الوحشية صادرا كلماته إلى المدرسات قائلا « أيها الحسان سنحذف ببعضكم في جنة الفردوس ،أمستعدين ! « ثم انهالت الشتائم وارتفعت العصي فوق رؤوس الأساتذة دجوبهم في سياراتهم ، كانوا يختارون في المعلمات كانت نور في القائمة المختارة للنحر أغلقت الأبواب وكتمت المدينة أنفاسها ..حينها عادت رنيم إلى منزلها مرهقة ملامحها مزرقة من شدة الضرب التي تعرضت له مثقلة الخطوات ، عندما حلت أمام البيت دقت الباب بصعوبة فتحت والدتها الباب صارخة ماذا حلَّ بك !! لم تقوى على الحديث انهمرت على الأرض بكل ما أُتت من قوة ،حضنتها أمها كانت ناجية ذلك اليوم ..

في الليل ذلك اليوم ، كانت رنيم طريحة الفراش تشاهد ومضات الانفجارات المنعكسة على زجاج نافذتها وتنصت إلى صوت الرصاص الذي يعلو ساكني مدينة حلب ، كانت العمارة تهتز من فرط الصواريخ التي تنهمر على الأرض مثل الأمطار لا يأتيها النوم .. كانت تفكر في إمكانية الهجرة وترك هذه المدينة التي ترسم على وجهها الخوف وعلى كل ساكنيها .

أيقضها صوت أذان الفجر هدأ الوضع لا أصوت للانفجارات تمالكت نفسها محاولة الذهاب للصلاة ، مناجية الله على أن ينقذهم من الدمار و أن يبعد المارقون عن هذه الأرض هي فقط تريد السلام و الأمان ..

نور بعد ذلك اليوم لم تراها أبدًا ، لا تدري إن بقت على قيد الحياة أو وافتها المنية ، هي في كلتا الحالتين ميتة ، بل الموت أحن عليها .. يظنون أنهم يوصدون العلم كما يلحمون أبواب المدارس ..

«عندما تحضر الحرب ، تصمت الحياة»

زهير الجبوري

بعد أسبوع طرق أسماع السكان أنهم اتخذوا من المدرسة مركزا لهم ،انتاب المنطقة الخوف والرعب بعد أن كانوا يهربون منهم أصبحوا على مقربة أميال منهم ..

بينما الكل غارق في الصمت كسره إحدى الملثمين صارخا عبر مكبرات الصوت يلقي على السكان القوانين الجديدة في مقام تواجدهم كان ينهمر صارخا « من يخالف سيلقى عذابًا أليمًا »

كانت قوانينهم تتمثل في « حظر التجول من السابعة مساء إلى السادسة صباحا ، ممنوع خروج النساء إلى الشوارع وإذا خرجن إلا للضرورة القصوى ، لباس النساء جلباب أسود طويل والتي نجدها كاسية عارية سنحذف بها إلى جهنم وبئس المصير. وانتهى رسالته فاللهم بلغت فاللهم اشهد .

كان يقول أن دولتنا عادلة ، تناصر الحق و تحرق الباطل .

(السارق تقطع يده و الذي يقذف المحصنات يجلد ثمانين جلدة، والزاني والزانية يجلدان مائة جلدة قد جئنا لكم بدين الحق) »

دولتهم المنصفة ، تخالف كل هذه الحدود ، هم الأسبق للجلد و قطع الأيادي ، منذ ذلك اليوم لم نتقدم خطوة خارج البيت .

غدت الحياة هنا خرساء .. شديدة الهلاك لا أحد يقوى على الحديث في حضرت الحرب ومسيروها اليوم نحن المذنبون و المساجين لا اعتراض على حكم المعارك و لا نقوى على الدفاع و لا حتى السؤال ،لما نقتل ؟ ما الذنب الذي اقترفناه ؟

لا مجيب ،نحن نتحدث مع اللاشئ إلا أننا نتصور أننا نصرخ ،جربي أن تصرخي يا رنيم ، لعل أن يسمعك أحد ... جربت قبل هذا لكن لم تستطيع إخراج ذلك الصوت المكتوم الذي إن صدحت به ستذبح وستقطع وترمى فهي لاتساوي شيئا في هذه المهلكة .. هي مجرد جثة ستلقى مصيرين يا إما ستتعفن فوق الأرض أوتدفن وتكرم تحته .. فلا إعتراض على الزمان ولا على الظروف فهذه الأرواح من جوهر الخالق وهذه الأجساد من تربته .. لا سميع لي ولا مبصر.. نحن في الحرب والصمت في رحابها قدر..

بعد شهرين ، سمعنا صراخ النساء في العمارة صوت رصاص قوي ، بدا كأنهم يدخلون البيوت ويقتلون ويسبون الغنائم ، كان من فضل هذه الحرب أن بيتنا في الطابق القبل الأخير.. تأهبنا لإستقبالهم ، تنقبنا ولبسنا جلابيبنا كان والدي يأمرنا بأن نختبئ منهم إلا أن لا مهرب منهم ، حتى وصلوا إلينا .. ثلاث رجال ملثمين كأنهم خزنة جهنم ، يحمل أحدهم دفترفي يده ، بيد أنه يسجل فيه الأسماء ، نطق كبيرهم الأشيب ، « أنت مصطفى الحلبي « قال والدي « نعم ، أنا ‹› ثم قال « إي فهم إبنتك رنيم الحلبي !» والدي إصفر وجهه وإضمحل نظره حتى أنه بدا كأنه سيسقط على الأرض .. ثم صرخ « أي فهم هي ! « كنا متنقبين .. ساكنين .. إلا أن ذلك الصمت لم يطول .. صرخت أمي تولول وتلطم « يا ويلي على بنتي ، ياويلي ..» أمسكني أحدهم من يدي ، يسحبني كأنني كبش فداء ، كان والدي يردد « شوعملت ..شوعملت » أنا كنت صامتة ، لم أتفوه بكلمة !

عند خروجنا من العمارة كان محتشد من النساء والبنات و الأطفال زجوا بهم في شاحناتهم .. كان البكاء يعلوكل هذا المحتشد .. جلست بجانب إحدى

الفتيات قالت لي بصوت يكسوه الخوف « ماذا سيفعلون بنا ؟ » كانت الفتاة عشرينية رديت عليها « لا علم لي !! « ثم قالت » ألست خائفة !؟ ، يبدو عليك الصمود !» قلت « بلا ، أنا خائفة ! » قالت « ماهي تهمتنا ، ياترى !» قلت « ربما أن الحياة هنا أكبر تهمة ! « سألتها » ما إسمك ! ‹› قالت « بثينة !» قلت « أنا إسمي رنيم ، ما رأيك أن نصبح رفيقات حرب ! « قالت وهي تبدو على عيونها التي تظهر تحت النقاب بعض الدموع و نظرات ضاحكة « أجل ، سنصبح !»

كانوا الملثمين يصدحون لإنطلاق قافلة الغنائم .. سكت الوضع قليلا بعدما أن إنطلقت الشاحنات .. علت إستغفارات و تسبيحات وكان الدعاء هو المرافق لنا .. لم نصمت يوم على ذكر الخالق ، بعد ساعة من السير وصلنا إلى سجن قديم حسب ما شاهدنا كان يتواجد في وسط منطقة ريفية .. فتحت لنا الأبواب من طرف الملثمين كانوا حاملين العصي في أيديهم .. كان لابد قبل دخول البوابات أن تدفع ضريبة المسجن ، تجمعنا في ساحة السجن حينها صرخ الجلاد « إرفعوا النقاب !! » كانت الساحة مليئة بالنساء ..لم أرفع النقاب كما فعلت الكثيرات ثم أعاد الصراخ غاضبا « إرفعوا النقاب آخرمرة » إلا أن الكثيرات لم يرفعنه ! ثم نادى السجانين .. كانوا ١٠ رجال حاملين في أيديهم السياط كانوا منهمرين على النساء ضربًا بدون إدراك من رفعت ومن لم تفعل .. كانوا يتلذذون بذلك الصراخ .. لم يتوقفوا على تعذيبهم لمدة ساعــة ، كانت التهمة حينها عدم الإستجابة للأوامر العسكرية .. بعد ذلك آتى ذلك الجلاد الصارخ بعد أن دخن سيجارة وهو يرى النسوة يتألمن رمى سيجارته على الأرض وأبرم عليها قدمه ماحياً تفاصيلها المشتعلة ..

قال وهي تبدو على ملامحه الفرجة :

« الآن إرفعن أنقبتكم »

بعد ذلك الضرب المبرح الكل رضخ لمطلبه ..

«للحرب سياط من نار .. تهجم على الفرائس منقضة
كأنها ذئاب جائعة»

اليوم الرابع من السجن ، كانت كل الليالي الأولى مظلمة ، كنا نسمع صراخ

حاد في كل ليلة كانت النسوة تسلخ وتورق أجسادها .. كان سندنا الوحيد كتاب ليس ككل الكتب ..ذكره شفاء وصفحاته من نور ورائحته مسك من الجنة .. نقرأ حتى ننام من شدة التعب والوهن ..كان لصداه معجزة على الآذان .. إلا أن صوت الجلادين وهم يجولون أمام الزنازين كان رعبه هالع .. كانت بيثينة تقرأ القرآن بصوت خافت ، جالسة في ركن الزنزانة .. كنا ننام على البلاط .. والكثير من الأحيان كنا ننام مستندين على الجدران الباردة .. نحن خمسة نساء في زنزانة يبلغ طولها المترين وعرضها المتر والنصف .. للآن نحن نرتقب ذلك الجلاد الذي يصدح بأسماء إحدانا ..إلا أننا كنا ننتظره لمدة شهر ولم يأتي ذلك المنادي ، ربما نسونا ! سنموت هنا .. سنتعفن ولن نخرج من هذه الزنزانة المتآكلة أبدًا ، كان موعد الغذاء كل يوم في منتصفه يرمون لنا من تحت الأبواب الحديدية أطباق نحاسية بعضًا من الأرز ورغيف خبز .. كنا نتقاسم الأرغفة كما نتقاسم الحياة هنا ، هم يريدون أن نفارق الحياة شنقًا ، يمارسونا علينا سياسة التعذيب النفسي ...

في أحد أيام السجن المرة التي وصلت فيها التعذيب اللامبالي إلى الرمق قررنا أن نصرخ ! نعم ، سنصرخ هكذا قالت رنيم لبقية الباقي النسوة .. تعالت صيحات « اصرخوا .. لماذا نحن هنا ! ماهي تهمتنا ؟»كان الصراخ رج كل المهجع أصبحوا كل السجينات يصيحون ويضربون بالصحون على الأبواب .. إلا أن تلك الجلبة أسكتت بعد أتوا السجانين وهم يهرولون كنا نسمع أصوات أقدامهم وأسياطهم وهي تضرب على الأجساد والأبواب .. كنا ننتظر وصولهم .. حتى أن وجدناهم يفتحون الباب ، وإنقضوا علينا بالسياط و

الكابلات كان أحدهم يردد ‹› أنتم السبب في كل هذه الجلجلة .. سوف نريكم كيف تصدحون عاليًا .. ! »

بعد ذلك الضرب المبرح فقدت الوعي إلا أنني صحيت بعد أن أكتشفت نفسي أن جسد يسحب على الدرج نازل بي إلى نفق التعذيب الموجود تحت السجن بعدما كان يرتطم رأسي بحواف الدرج إلا أنني لم أتفوه بكلمة ، أكملت التمثيلية حتى وصلت لزنزانة إنفرادية ، رماني فيها كما ترمى الجثث الميتة للكلاب..

الليلة الأولى في الزنزانة الإنفرادية

ليلة شديدة البرودة لا غطاء ولا سند ، غرفة هائلة التجمد جدرانها سوداء مكتوب عليها بضع كلمات لمحت عيناي بعض العبارات التي أبسطتني و الكثير منها أبكتني مثل « سأخرج وألقاك حبيبي « « لاحياة بدون خوف » .. « لن تكون وحدك ! »

« أنت لست الضحية الوحيدة .. نحن كذلك! ‹› كنت أتوق لإمساك قلم والكتابة على هذه الجدران العارية لأكسيها من عبق الحروف.. إلا أن القلم هنا حلم شبيه بالحرية .. تسطحت على البلاط أخذ جسمي يتعافى من ضربات الأمس التي علمت عليه ، غدت بعد الجلجلة متمردة ! كنت أنتظر في الجلادين تلك الليلة أنا على إستعداد للقائهم .. أتوق للحديث مع أحدهم .. صمت كثيرا ! ولم أعد أقوى أكثر على السكوت ! »

رحت أحدق في سقف الزنزانة ، أخذت أفكر ياترى كيف هي الأحوال خارج

هذا السجن اللعين ! أكيد أن القتال لايزال و الكثير من الدماء تسال بلا ذنب فقط لأنهم أحياء وربما طلقاء..

الليلة السادسة

ربما بات الليل في منتصفه .. كانت ليلة متكدرة .. كنت مستنجدة حينها لله بكل ما أوتيت من قوة .. فتح باب الزنزانة المتآكلة وأخرجت منها مربطة اليدين ومغمضة العينين .. قائلة في نفسي « إلى أين يا ترى ! رديت إلى المحتضر.. إلى المذبح أو المسلخ ..!»

مشينا وصعدنا أدرج بعدها توقفنا وفتح باب وأدخلت وأجلست إلى طاولة وضعت يدي عليها ، لم يكن أحد غير ذلك السجان الذي أتى بي ! إلى أن سمعت قرع صوت أقدام آتي بإتجاهي قال : « أهلا أهلا «

أنا صعقت وصمت لا إجابة لي .. ثم ردد « أهلا بالأستاذة الكريمة رنيم «

توجمت و أذهلت .. قلت « نعم ! « ثم قال « كيف أمشيتي هذه الشهور في ضيافتنا ؟» أجبت « الحمد لله « ثم قال « أزيلوا لها الغطاء عن عيونها « حينها أبصرت وجه ذلك المحقق كان في الأربعينيات ربما .. أسود العيون و يغلب على لحيته بعض الشيب .. كانت فوق الطاولة لمبة شديدة الإضاءة .. ثم قال « أتعلمين لماذا أنتِ هنا ! » قلت « لا ياسيدي لا أعلم ! »

قال « كنتي تزاولين المدرسة في حين إغلاقها .. وتشجعين الأولياء على بعث أطفالهم للتعلم »

ثم إنهمر عليَّ صارخا « أنتِ تقفين في وجوهنا ..» بعد صعقني بالسياط أخذت بالصراخ بعد نصف ساعة من التعذيب والضرب ، قال « هذا هو جزاء من يخالف أوامرنا !!»

في صباح ليلة التعذيب أتى أحد السجانين قائلا من خلف الباب سوف تغادرين اليوم هذا السجن بعد ساعتين .. تأهبي !

كانت فرحتي لا توصف ! الحرية أعظم من التعذيب وألم السياط .. حملت نقابي لابسة إياه منتظرة ساعة الحرية حتى تعلن من خلف باب الزنزانة الحديدية .. ودعت هذه الغرفة التي لكن ونحبت معي معتذرة منها أنني أثقلت كاحلها .. سمعت صوت المفاتيح ترن في الباب كانت فرحتي حينها أشد الأوقات نشوة ..

بعد شهرين من الإفراج

رن المنبه العاشرة بتوقيت الوطن نهضت مسرعة لبست طقم الصلاة و ذهبت أخطوا خطوات متوازنة إلى النافذة .. وصلت للزجاج رفعت الستار كانت السماء مطرة وكان الجو جميل ، نظرت في الأسفل وجدت عددا من الملثمين يحدقون في غرفتي ، ذهبت وأخبرت أمي بأمرهم ، طلبت مني عدم الاقتراب من النافذة .. أسدلت الستائر ولم يعد النور يدخل للغرفة ، عم الرعب في منزلنا .. لم نفتح النوافذ لمدة طويلة كان الرعب هو السائد .. في ليالي الموت الهالعة سمعنا اصوات إنفجارات بدا لنا وكأنها على مقربة أميال منا ، جلسنا حذو بعض متأهبين للموت أو للهرب ، إثنين لا ثالث لهما .. الكثير هنا يعيشون على أمل في الموت ، نعتقد أننا على أرض الموت .. أرض تبتلع الأحياء

قبل الأموات .. وما الموت بأبغض عن هذه الحياة ، نحن ملتحفين بمضرج القتيل القادم تكسونا الدموع وبعض الدماء التي هي على مقربة من الظهور قبل الارتطام بالقذائف ..

في ذلك اليوم الستين بعد حادثة النافذة ، جاء أبي في المساء يزج لنا خبر مفرح قائلا أن الفصائل المسلحة غادرت المدرسة و المجمع السكني .. كنت متشوقة لرؤية الأنوار تدخل للبيت واشتقت لمنظر السماء .. تعودت عيوننا على الظلام الدامس .. بعد أن فتحنا النوافذ صُدمنا من هول المشهد ...

٢٥ آذار ٢٠١١

كان صباح يوم مربك اشتد القصف على مدينة حلب ، السماء تلونت بالرماد و العصافير غادرت المدينة فكان المشهد مروع رصاص قوي و انفجارات مدوية تسارعنا للنزول إلى قبو العمارة ، تكدست أجسادنا تعانقنا و علت تسبيحات كنا نُشهد هذه هي نهايتنا حتى سقط صاروخ على جانب العمارة ارتجت بنا الأرض وتعالت التكبيرات « الله أكبر الله اكبر « شهدنا الله على ما يجري ..كان صوت صراخ الأطفال يملأ المكان .. مرت الثواني دقائق والدقائق ساعات والساعات أيام .. كنا ننتظر في شبح الموت أكيد أنه مرَّ من جوانبنا أو كان ينتظرنا على قارعة الباب أو أنه كان ينتظر صفارة الصاروخ وهب نازلة على عمارتنا التي ستدفن وندفن معها، كنت أتحدث مع والدي أقول لابدَّ إن نجونا اليوم لابدَّ أن نرحل من هنا ، كان يُجيبني بملامحه إن شاء الله سيفرجها رب العالمين ..بعدها صمت العالم فعرفنا أننا نجونا هذه المرة ربما هذه هي الأخيرة بمجرد توقف القصف ،خرجنا من العمارة المدمرة ، بيتنا سقط عليه الصاروخ تدمر كله سقطت كل العمارة عليه كان علينا أن

نمشي لنختار بيت آخر نسكنه .. تفاجأنا بقوافل من البشر ملأت كل الطرقات نازحين ونحن معهم .. نحذو حذوهم نحو اللاشيء خافضين رؤوسنا يكسونا الغبار، كنا ننزح من شارع لشارع هاربون من الموت، بحثا عن بيت آخر يضمنا ويحمينا من برد الشتاء و من ظلم البشر، وصلنا لمنطقة مهجورة تحوم فوقها الخفافيش سكوتها مبكي بيوتها عارية سكانها غادروها لم يبقى فيها إلا ركام من البيوت المهدمة والبعض منها التي بقت صالحة للسكن نزلنا في إحدى العمارات الشبه مدمرة، قرر والدي الخروج من هذه المدينة بعد أن اشتد القصف عليها مع مرور الأيام ، لم نقوى على الصمود ، البيت ذهب كالريح لكننا لا نزال أحياء هذا ما يجعلنا نقوى على مواجهة الأهوال...

الخيال وحده من ينقذني من هذه الأحداث المؤلمة، رحت في غيابات الخيال راحلة عن الواقع المر..» الآن أنت تجلسين أمام نافذتك ، تسكبين القهوة في فنجان شفاف، وتلتقطين بعض الصور للقهوة والكتب، ترتسم على شفاهك ابتسامه رائعة، تخاطب شغف المنظر تمسحي بها كل أحزانك المرسومة في ذاكرتك .»

ثم أنفصل عن تصوراتي وأعود إلى واقعي، اسمع صراخ و صوت رصاص آتي من بعيد، إنهم يطبقون حدود دولتهم العادلة .اكتشفت أن مخيلتي هي الوحيدة التي تسمح لي بالسفر و الحب و الفرح و الضحك، أما محيطي هو خليط من فصائل مسلحة و قوافل الموتى و الدماء التي لا تنتهي .

بعد مرور أيام، دُقَّ باب بيتنا بقوة، قلت منْ ؟ ردت عليَّ « أنا نور « ، عانقت روحها و احتضنا بعضنا بشدة . بعد فراق دام زمن طويل .. أدخلتها البيت ،

قلت لها : أين هذه الغيبة إلى أين ذهبوا بكِ ؟؟

أجابتني ، بدموع وسكوت قائلة أنها تعرضت للاغتصاب حاولت الانتحار أكثر من مرة .. لكن كانت تفشل كل محاولاتها رأت ويلات جهنم في عاصمة إرهابهم ثم بدأت تقص ما جرى لها ..

بعد أن قيدوني بسلاسل حديدية ، أخذوني الى الرقة أدخلوني إلى سجونهم، كانت هناك البنات والنساء، ابتداءً من الأطفال إلى العجائز. كانوا في كل ليلة يأتون حارسات السجن المحاذي لأوكار الأوغاد يختارون ما يطيب لهم من النساء والبنات . كانت عقيدتهم تأمرهم بذلك .

حق عليهم قول الله تعالى ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ إبراهيم:٦ ، هم خير خلف لفرعون ..

تقمصت دور إحدى المجاهدات و ركبت في السيارة أنا و بعض البنات ، ووصلنا إلى هنا ثم كل منا ذهبت في طريقها ...

٣ أيار ٢٠١١

قرر والدي العودة للبيت القديم بعدما أعاد ترميمه وبه تمنيت الرجوع إلى المدرسة إلا أنها غدت الفكرة مستحيلة .. دخلنا المجمع عبر طريقه الفرعي ظهر لنا بعض من ملامح الحياة .. حركة قليلة لبعض الأطفال وهم غاطون في مرح اللعب .. أمام البعض من المباني المرممة و الكثير من المباني الآهلة الى السقوط .. دخلنا البيت كانت كتبنا و أوراقنا مرمية إلى الزاوية وبعضها محروق أكيد أن البيت سكنوه بعد أن خرجنا منه أو أن المجموعات الارهابية

والفصائل المسلحة قد تناحروا فيه حتى هذا البيت أصبح إحدى ضحايا هذه الحرب الدامية ..

٢٧ من نفس الشهر

يوم حرب مسود الملامح .. لا أدري كيف أصف هذا اليوم .. في رمشة عين وجدنا أنفسنا نجري في الشوارع ماسكين أيادي بعض .. كان صوت الرصاص عالٍ نترقب في أي اتجاه ستتصادم بأجسادنا، كنا نجري بلا توقف لا نعرف وجهتنا فقط نعلم أننا هاربين دخان كثيف في الأرجاء تجمعات غزيرة للبشر وكأنه يوم الحشر حاملين في أيديهم أبنائهم ثيابهم الكل ينتظر في الحساب الكل يتساءل أسيعيش بعد هذا اليوم؟ كنت ألهث من شدة الجري إلى أن سمعنا رصاص متردد لم ينتهي وهو على مقربة منا زادت سرعة حركة الأرجل قطعنا الشارع كتدفق الأمواج إلى أن وصلنا إلى محطة الحافلات حينها توقفت الحشود وأبرمت الدهشة أجساد ملقية على الأرض بعضها يأن من الوجع وبعضها قد فارق الحياة مودعًا إياها بابتسامة .. سألت أحد الواقفين (ما الذي جرى ؟) رد قائلا (جماعة مسلحة رمت علينا الرصاص وهي مغادرة المكان) أصبحت أرواحنا رخيصة جدا أمام احتشاد الأسلحة تزهق الأرواح بدون مبرر

كان ولابد أن نخرج من تلك المدينة فارقناها و أعيننا تشدوا الحزن مشت بنا السيارة مودعين أرض ربينا فيها و ضحكنا فوقها وها نحن نبكي على فراقها اه يا وطني كم أنا على فراقك متألمة ضعت وضعنا بك يا ليت أن نموت وينتهي كل هذا الوجع لا نقوى على المزيد تعبنا..

تأملت الطريق وكأننا في صحراء جرداء كانت المدينة خالية من السكان بكيت كثيرا حتى والدي بكى كانت أول مرة نشاهده يذرف الدموع .. تأملت حلب لآخر مرة ربما لن نرجع لها مرة استيقظت بعد ساعتين من الطريق على فرحت عائلتي نجونا ..! وصلنا إلى إحدى المخيمات في ريف اللاذقية « مخيمات الرمل « كانت الخيم مصفوفة على بعد النظر تبعد عن بعضها البعض مسافة المترين يمضي الناس وهم يعلنون الصمت في كل اتجاه ، لا يتكلمون ولا يصرخون الكل خائفون من البوح الكل خائف من الاستجواب كنا كمن نام وفاق ليجد نفسه في قطاريمشي بسرعة الريح لم نجد أنفسنا إلا ونحن ذاهبون لإحدى الخيم بيضاء اللون على الأقل أنها بيضاء تمحي على عيوننا السواد الذي كنا نرقبه طول الأشهر الماضية كان من حولنا جبال يغطيها الثلج حتى أن أصبح من الشعب فتح أعيننا من وهج البياض كانت أول ليلة في المخيم باردة تلحفنا في بطانيات سميكة ونمنا في هدوء قال والدي في تلك الليلة لأمي «سأبحث عن عمل غدا لابد من توفير مصدر رزق ..»

استيقظ كل ساكني مخيم الرمل على عاصفة ثلجية قوية فالبعض سقطت خيمهم وانظموا للسكن إلى جيرانهم .. كانت أقدامنا تتجمد من الصقيع لم يتوفر ولا إمكانية للتدفئة لا حطب ولا صوبيا المخيم منكوب الكل يموت بصمت إلا الصمت .. كان الأكل يوزع في إحدى الخيم التابعة للمنظمات الغير حكومية يتجمع طابور طويل من الناس صف للنساء و صف للرجال الكل متلهف إلى حسائه الدافئ يزيل عنه برد الأيام و ألم النفوس التي تتجمع هناك كانت هذه بداية المعاناة في مخيمات الرمل الحرب هدمتنا و قسمت علينا أن نحيا في إهانة ..كانت رائحة الطعام طاغية على الأجواء كل البطون خاوية ننتظر بشوق

٢٠١١/٠٦/٠٣

-» ألستَ جائعاً يا أخي ؟»

- هل لم يتبقى الخبز من البارحة ! أجابته نافية وهي تدلك في شعره بيديها الباردتين .. أصبريا أخي ..

كان الجوع والبرد جلادي المخيم يعذبون اللاجئين يحاصرونهم ينهمرون عليهم بالهراوة بتهمة لاجئين بلا مأوى عايشوا البرد والجوع و الحرب والارهاب و التعذيب ، الحرب بذاتها إرهاب له طائرات ومدرعات يقصف البيوت والأشخاص بلا تفريق الحرب لعبة ماقتة يكون فيها الإنسان أقل الأضرار فتكًا ..

في أول مجيئنا للمخيمات تعرفنا على جيراننا « عائلة البرواني» كانوا ينحدرون من الحسكة هجوا من داعش ومرو على ويلات الحرب ، « الحج إبراهيم « يبلغ من العمر الستين سنة قادته الحرب لأن يجري في وسط الجموع وكأنه ثلاثيني ماسكًا في يد زوجته « الحجة فاطمة» وأبناء أبنائهم ابنها توفى هو زوجته بعد أن قصف البيت تاركًا لهم ، رهف الناجية من تحت ركام البيت أما باسم فكان ذلك اليوم في بيت جده الذي يبعد حارتين عن منزل والديه مرت عليهم مواسم الجوع و الخوف والبرد و الفرح و الحزن قالت ستتأقلمون مع الوضع ، فهم من قدماء من عايشوا الحياة هنا ولم يموتوا بعد ..

شاهدنا في ذلك المخيم كيف يمكن للإنسان أن يحتمل كل الذي لم يتخيل يومًا أنه سيقع على عاتقه ..كم هي الحياة مفاجأة ..

في أحد أيام الصيف الحارقة قرر والدي أن ننهزم من ذلك المخيم إلى أين يا أبي ؟

أحملوا حقائبكم وأتبعوني هذا ما كان يلفظ فقط .. كان لا يتكلم كثيرا منذ أن هجرنا من حلب ، الحياة تجبرك على أن تصمت وإن كنت تريد أن تتكلم .. تخرسك الآلام و الظروف و الفقر نتمنى بيوم ينتهي فيه كل هذا الكابوس البائس الذي قسى علينا و أعتم علينا الدنيا ننتظر في عودة البسمة ..التي

فارقتنا منذ زمن حتى أننا أضحينا لا نتذكر متى ابتسمنا آخر مرة ..

شاهدت على مرمى الطريق عمارة تهيأ لي أننا نسير نحوها هذا المجمع لم يكن متضرر كثيرا لايزال وجود لرائحة الحياة إلا أن ندوب الحرب بارزة عليها كان والدي قد استأجر فيه منزل من ماله الذي كان موفره كان حامله معه حتى ذلك المال عاش معنا الجوع والبرد.. المنزل يطل على حديقة المجمع السكني يقع في الطابق الثاني تقابلنا عمارة يبرز عليها آثار الرصاص وفي الناحية الأخرى سيارة منقلبة يمكن أن أصحابها ماتوا أو غادروا الوطن لم نسمع في ذلك اليوم صوت الرصاص ولا صورة الخوف إلا أن الذعر كان يغيم على كل أرض الوطن.. الكل يترقب دوروه في أي لحظة يمكن أن يتجرأ ذلك المجرم على قلب موازين الأرض ليجعل الأرض محرقة ..

سفر روح

(رحلات بدون تكلفة)

كان وضعنا يتحسن ببطء بعدما خرجنا من مخيمات الموت ، أصبح لنا بيت وجدران وسقف تحمينا من تغير الأجواء بعد أيام من تواجدنا في ذلك المجمع الجديد طلبت من والدي أن يسأل في المدرسة القريبة منا إذا في إمكانية التدريس .. كان لدي أمل كبير في الرجوع لتكوين وكان أملي في محله قال لي والدي أخبروه أنهم في حاجة ماسة لمدرسات .. كانت المدرسة للبنات فقط ..

٢٠١٢/٠١/٠٤

هناك الكثير من الأشياء الحزينة حصلت لنا لكني أردت أن تعود بسمة الحياة علينا ولو كانت بيوتنا مدمرة وإن كنا محاصرين بمجموعات مسلحة وحتى أن حياتنا معرضة للموت في أي لحظة أردت نفسي أن تفرح تضحك تسعد كفانا حرب وتهجير.. لم أعد أعرف هذا الوطن صار لا يشبهنا ولا نشبهه إلا أن أرضه لازالت تحافظ على رمزيتها تصدح عاليًا قائلة « أنا سوريا وإن دمرت .. أنا سوريا وإن هجر شعبي .. أنا سوريا وإن أصبحت أرضي قبورا لشعبي .. أنا سوريا وإن تخلى عني العالم «

دائمًا كنت أرحل بمفكرتي إلى عالم مجهول لا أعرف فيه أحد ، أهرب حيث لا أجد حولي أحد ، كان النوم هو أحسن ميعاد للسفر رحلة بدون تكلفة ، رحلة اللانهاية .

كانت الساعة ٩ :٠٩ بتوقيت خيالي :

كان الجو جميل ونسمة الهواء تمسح الروح وتطيبها ، أجلس في المطار بمحاذاة الزجاج يقابلني كوب من القهوة الفرنسية بالكرميل ، أتناسى ما تركته خلفي من دمار وخراب و أستمتع بالمنظر.

١١:٠٠ بتوقيت خيالي :

على جميع الركاب المسافرين على رحلة رقم (...) التوجه إلى البوابة رقم (...) والاستعداد للركوب على متن الطائرة هممت بالنهوض ، وأنا في قمة السعادة ، كانت الجمل تتراكم في عقلي سأكمل دراستي و أكون نفسي وأتعلم لغة جديدة ، أُسند بها طريقي ...

١٠:٠٠ بتوقيت واقعي :

أسمع صوت أمي تتحدث مع إحدى الجارات التي تعرفنا عليها كانت تدرس هي الأخرى في نفس المدرسة ، فتحت عيناي ونظرت إلى النافذة كانت الشمس تُدخل أشعتها الدافئة إلى الغرفة .

أجلت سفرتي إلى موعد آخر، غسلت وجهي ثم ذهبت لأقابل « سناء « سلّمت عليها قالت لي ، سمعنا أن مجموعات إرهابية هي على الحدود الشمالية للاذقية .. أكملت متنهدة نرجو من الله أن لا يصلوا إلينا .. !

كانت الغبطة ترافقنا كأخبار هذا الوطن الأليمة .. هم كالجراد إن حطوا رحالهم في منطقة ما تصبح جرداء من نفاقهم و أفعالهم .. هم المارقون السفاحون ..

١٤:٤٥ بتوقيت خيالي :

حطت الطائرة أدراجها على الأرض بعد رحلة دامت ثلاث ساعات ، نزلت من أدراج حلمي في مطار هيثرو الدولي ، أكثر المطارات ازدحاما في العالم .

كانت السماء صافية تزينها بعض الغيوم الثلجية كانت الطيور ترحب بوصولي، كنت أستمع لموسيقى خاصة صوت الطائرات تمتزج بأصوات المسافرين مع ضحكات المارة كانت رحلة ممتعة .

نزلت بفندق فاخر ثم دخلت غرفتي تمددت فوق سريري أحللت عقدت شعري أفردته تذكرت أنني في مدينة تتنفس الحرية هذه فرصتي لأكتشاف هذه المدينة .

قضيت الليلة وأنا أشاهد أحد البرامج على التلفزيون البريطاني

رن المنبه ٨:٠٠

قمت ارتديت أجمل طقم عندي وأجمل حجاب أملكه وضعت بعض المبيض على وجهي وبعض الكحل وحمرة الشفاه وتزينت بوميض من الابتسامة ووضعت حقيبتي على كتفي وتهيأت للخروج .

قضيت يومًا كاملا أجوب في المحلات بحثًا عن الثياب والأكلات و مساحيق التجميل ثم مررت بممر الكتب ، تشبه إحدى شوارع بغداد المملوءة بالكتب و الكتاب والقارئين .

لم أحظى بوقت ممتع كهذا منذ أن غادرت الواقع ، كانت الأجواء لا تشبه حياتي في سوريا ، تذكرت مقولة قليل من الهواء كثير من الحرية وأنا أقول

قليل من الخيال كثير من الحياة . اشتريت الكثير من الكتب ، للعديد من الكّتاب أمثال دستوفيسكي ، إليزابيث جيلبرت ، أحلام مستغانمي ونتشيه ..

عدت إلى الفندق وضبت مشترياتي وقررت أن استأجر بيت في نواحي لندن بحثت في الأنترنت عن بيوت للإيجار ووجدت بيت متواضع ينقصه بعض التصليح ، كتبت رقم هاتف الشخص و اتصلت بالرقم .

رد : ألو ، مرحبا من معي ؟

قلت بلغة إنجليزية غير متوازنة ، أنا رأيت إعلانك في إحدى المواقع .

قال : آه ، نعم

قلت : أريد أن أستأجره

قال : حسنًا ، غدًا نلتقي في مقهى ليز على الساعة ٤:٠٠

٧:٠٠ بتوقيت واقعي

فطنت على إيقاع يا ديرتي يا ديرتي وداعًا يا حبيبتي ... أمي تعشق هذه الأغنية ..

بدأت يومي بابتسامة عريضة ، يمكن للإنسان أن يزعزع الحزن من مكانه ويستبدله بالفرح . وينسى كل الحروق التي تركها الزمن على أيامه وكل الندوب ستزول بمرور الوقت ، تأكدت أنني أستطيع تغيير محور حياتي بقليل من الأمل .

٣:٠٠ بتوقيت خيالي

تهيأت للذهاب إلى موعد لكراء البيت ، تعطرت ولبست حجابي مع بعض اللمسات الخاصة على عيوني العربية الجميلة ، تأنقت وخرجت ، أوقفت سيارة أجرة لإيصالي إلى مقهى ليز المتفق عليه .

وصلت للمقهى ، اتصلت بصاحب الشقة قال لي خمس دقائق أكون عندك نظرت لساعة يدي وجدتها لم تكون ٤ بعد ..

انتظرت قليلا ، حتى وصل

اتصل بي : أين أنت جالسة !

قلت : جالسة في الجانب الموازي للإطلالة ، مرتدية الحجاب .

قال : آه ، حسنا رأيتك ...

كان ممشوق القامة ، أسود العيون والشعر ، أنيق الهيأة أطال يده لمصافحتي

قلت آسفة لكن لا أستطيع المصافحة .

قال : آه ، طبعا لا مشكلة أتفهم ذلك ... أنا محمد من الجزائر.

قلت في نفسي يا الله أنه عربي مسلم ، ما هذه المصادفة الجميلة

قلت : تشرفت بمعرفتك ، أنا رنيم من سوريا .

قال : تتحدثين لغة عربية ؟

قلت : نعم ، طبعا .

قال : أنا أعمل هنا ، لدي عيادة خاصة للطب النفسي .

قلت : ما شاء الله ، موفق

قال : وأنت ! ماذا تعملين هنا ؟

قلت : أنا كنت في سوريا أستاذة لغة عربية لكن بسبب الأوضاع اضطررت للسفر بعيدا عن الحرب والمأساة التي تعيشها بلادي .

قال : آسف لم أقصد فتح جروح الماضي ، أصلح الله أموركم

تجاذبنا الحديث ثم اتفقنا على البيت وقال أنه مفروش ويمكنك أخذه غدا .

حملت أمتعتِ وخرجت من الفندق متوجهة لبيتِ ، عند وصولي وجدت محمد ينتظرني أمام باب المنزل ، ساعدني بإنزال حقائبي ..

وظبت الشقة ، ورششتها بعطر مميز ، صار البيت يلمع ثم أخذت كتبي ووضعتهم فوق الرفوف ، كان منظرهم رائع فكان الركن المفضل لي في البيت .

قررت الاتصال بمحمد لأسأله عن معهد لتعلم اللغات، قال أنه سيأخذني لمعهد قريب من بيتي وأنه سيتصل بالمعهد ويأخذ موعد

في المساء وصلتني رسالة في هاتفي مبعوثة من المعهد ، تنص على أن الموعد سيكون يوم الاثنين على الساعة ١٠:٣٠ .

الساعة ٩ بتوقيت واقعي

أسمع ضجيج عارم فالمجمع وصوت رصاص ما الذي يجري؟

خرجت مسرعة لأمي ماذا يحدث ؟ قالت أن مجموعة من الإرهابيين أتوا برفقتهم معتقلين ، سيحاكمون ويعدمون في الساحة .. يا إلهي ! ما هذا الظلم الذي نعيشه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ،حكموا على المظلومين بالإعدام والمفاجأة أن من يعدمهم أطفال ، ليعلموهم صلابة المشاعر القاسية .

كان منظرهم مفزع جدًا ، كيف لطفل يستطيع قتل إنسان ؟

ذهبت الإنسانية وغادرتنا ، من سببنا هذا الانتحار الأبدي لقلوبنا ونحن من نستطيع تغيره وإزالته..

كانت قافلات الأوغاد كل يوم تمر على مجمعاتنا السكنية ، تأخذ كل من تجده في الشارع ..صرنا أموات أحياء في نفس الوقت ، سمحولنا باستنشاق الاوكسجين للبقاء على قيد العذاب .

كانت حياتنا تنقلب يمين وشمال على حسب حركة الاسلحة والمعارك ، أصابنا اليأس من هذا الوضع .

الاثنين ٠٣:٨ بتوقيت خيالي

فتحت عيناي على منظر الحديقة التي تطل عليها غرفتي ، تأملت السماء الصافية ، قمت وفتحت النافذة الزجاجية ، رشفت جرعة من الهواء النقي ، زينت يومي بابتسامة كالعادة ، ابتسمت للدنيا ، الدنيا التي أعيشها مرتين ، مرة في الواقع وأخرى في الخيال ، حظرت قهوة الكابتشينو مع قطع من البسكويت البريطاني وجلست في غرفتي أتجاذب أطراف الحديث مع الغيوم والنسيم ...

٩ :٠٠ صباحا

تأهبت للذهاب للمعهد ، تهيأت وتأنقت أخذت معي عنوان المعهد لكي أعطيه لسائق سيارة الأجرة . وأنا خارجة من بوابة بيت أحلامي ، أرى محمد ينتظرني أمام البيت .

قال : صباح الورد

قلت : أهلا ، استغربت كيف يلقي عليا هذه التحية الصباحية أو أن في الجزائر صباحهم ورود ..!

قال : هل تسمحي لي بإيصالك ؟

قلت : لماذا تتعب نفسك ، أنا طلبت سيارة أجرة

قال : لا والله ..

تشكرته وركبت سيارته في الطريق كان يتحدث لي، عن الجزائر وجمالها الخلاب و مناظرها المتنوعة من الجبال إلى الوديان إلى البحار إلى الصحراء ، حقا أني تشوقت لزيارتها من وصفه .

قال : وصلنا ؟

دخلنا المعهد ، كان محمد يتحدث مع المشرف على التسجيلات ويترجم لي بالعربي .

ثم قال : هل تودين تعلم اللغة الانجليزية ؟

قلت : نعم

سجلت في المعهد وقال لي ابتداءً من يوم الأربعاء تبدأ الدروس في مجموعتك .

تشكرته على تعبه معي وعلى كرمه ثم أوصلني لبيتي .

عدت إلى البيت نظمت خزانة ثيابي واخترت ماذا سألبس بعد يومين، كان الأمر مضحك ، كنت مستعجلة ليوم الأربعاء .

اللغة الإنجليزية ستفتح لي مجالا للتواصل وللعمل هنا .

مر يومين على التسجيل ، وصلت للمعهد دخلت الصف ذهلت للأعراق المختلفة المتواجدة داخل القاعة، أصول إفريقية وآخرى هندية والآخر صيني ..

كان الأستاذ يطلب منا بالتعريف بأنفسنا باللغة الإنجليزية ، قلت

. dlo sraey ٣٢ m'I , airyS morf menar m'I

ثم رحبوا بي ، كانت الأجواء مختلفة جدا كان هناك حماس للدراسة ، كنا مستمتعين بالتعرف على بعضنا .

الساعة ٦١ بتوقيت واقعي

أصوات تبادل الرصاص وانفجارات ملئت السماء ، نظرت من النافذة أرى الناس يركضون في الشارع ، ويصرخون .

(إنهم يحرقون السيارات ومن على متنها)

كان الرعب وصل لذروته ، يستمتعون بحرق الأطفال والنساء و الرجال

والعجز! الله فقط القادر على إهلاكهم فلا حول لنا ولا قوة إلا بالله .

كانت تلك الطريق تطل على واد جاف تسمى بطريق السلاسل ،كان أحد المتواجدين فر من سيارته سالكاً الوادي إلا أن المسلحين أخذوا يرموه بالرصاص إلا أنه كان الناجي الوحيد في تلك المحرقة كل من معه حرق وقتل ..

«كنا نريد وطنا نموت من أجله، وصار لنا
وطن نموت على يده »

أحلام مستغانمي

الساعة ١١:٠٠ بتوقيت الواقع

صباح يوم مشرق وزقزقة العصافير تغرد على نافذة غرفتي معلنة عن بداية يوم أجمل، أستفيق بتكاسل كالعادة، أشغل نغمات من الموسيقى أدندن معها، أقترب لزجاج النافذة وأتذكر الماضي المرير الذي مرَّ علينا، حملت مجموعة كتبي هاربة من واقعي إلى أوراقي

ولماذا الهرب ؟

لدي بيت ... وعمل ...كتب ... أنا سعيدة ... لا ينقصني شيء...

لم أكن أحلم بأكثر من حياة طبيعية ، أعمل ، أتزوج برجل أجد في رفقته الراحة والسعادة التي لطالما بحثت عنها ووددت أن أشعر بالحب الذي يتغنى به الشعراء لكن تسري الأمواج بما لا تشتهي السفن فكل ما تريده في الغالب يسير على غير ما تريد ، سحابة الأمل هي من تبقيك متمسكا بقطرات المطر التي تحيي روحك بعد ذبولها .

أيتها الأيام العابرة على جسد آلامي ، ألم تسأمي من تعذيبي بعد ؟

أيها الآتون لنحري لأكون كبش فداء دولتكم العادلة ، أنتم من شربتم من دم وجعي ، سأنتقم منكم جميعًا ، أنتم من سببتم لي هذه الجروح و الكوابيس التي تلاحقني في كل رمشة عين وفي كل نسمة هواء التقطها ...نور البنت الشابة التي أيقض الإرهاب في نفسها الوحش الذي يريد الثأر للجميلة التي قتلوها في داخلها .

سوق اللاذقية السوق الذي يطغى عليه الطابع الإرهابي ، النسوة يتسوقن

مرتدين السواد و النقاب فرض عليهن بالقوة و الترهيب ،النظرات في الشارع يُعَلّم على ملامحها الخوف والرعب ، حين يرفع الأذان ترى كل الباعة يغلقون محلاتهم ويتوجهون للمساجد للصلاة و اذا بقت بعض المحلات مفتوحة يمرون عليهم الارهابين يذكرون أصحابها بوقت الصلاة وعلى حرمة العمل في ذلك الوقت وإذا خالفو الأوامر يكون الجزاء ، تشميع المحلات ودفع غرامة ودخول السجن لمدة شهر والجلد .

في ساحة السوق يوجد منصة للإعدام كل الأشخاص الذين يعدموهم لا أحد يعرف ذنبهم ، تصادفك في كل الأزقة لافتة مكتوبة عليها (عذرًا هذه الحرية التي نريدها) بجانبها صورة لجلباب و نقاب ، كل هذا بالترهيب لا بالتخيير .

أحست نور أن أحدًا ما يلاحقها ، كانت تمشي وتلتفت حتى بلغت إحدى الأزقة الفارغة من الناس ، ظهر الإرهابي المسلح وهو يصرخ

« توقفي أو أطلق النار«

توقفت نور رافعة يديها إلى السماء وكأنها تدعي الله أن لا يكون قد عرفها ، مرَّ سيناريو الرقة على أعينها ، اقترب منها

قائلا: نقابك شفاف ، استري نفسك

ردت : آسفة ، لم أنتبه

وهي تردد في داخلها ‹‹حمدا لله «

تنفست الصعداء ثم تابعت طريقها ثم نادى عليها ، قائلاً: لم أكمل حديثي

رجعت إلى الوراء بخطوتين ، قال: نحن نبحث عن امرأة هاربة من سجن الرقة ، ارفعي نقابك لأتأكد

جف دم نور ، اصفر وجهها وتغيرت ملامحها ، رفعت نقابها مظهرة ملامحها الحزينة ، منتظرة النطق بالحكم، نظر إليها ثم قال: آسف ، على إثارة رعبك ، لست أنت من نبحث عنها .. بلعت ريقها وتنفست شهيقا زفيرا .

اندهشت نور من أخلاق الإرهابي لأول مرة تصادف إرهابي خلوق لديه إحساس إنساني ، تفاصيل وجهه تنفي هيأته الإجرامية .

في المساء كان صوت المطر الحزين يخيم على اللاذقية يعزف موسيقى حزينة ، تغير بطريقة ما الروتين الكئيب الذي سلطته عليهم التنظيمات الإرهابية

كانت نور تتجنب الخروج إلى الشارع خوفًا من إلقاء القبض عليها إلا أن في الكثير من الأحيان في الحياة يحدث مالم يكن في الحسبان ، رن جرس باب بيت نور

قالت : من ؟

قال: أنا

قالت: من أنت ؟

قال :حبيبك

ظهرت على وجه نور ملامح الاستغراب ، إرهابي خلوق وكوميدي في نفس الوقت

فتحت الباب وقالت: ماذا تريد ؟

قال: أريدك زوجة لي

. أغلقت الباب بسرعة في وجهه دفع الباب بيده فلم تستطع إغلاقه ، قال : ماذا؟ لقد طلبتك في الحلال !

أجابته وهي تذرف الدموع :أنا لست صالحة للزواج بل حتى للحياة أنا مدفونة في عمق الأرض...

قال لها: أنا لست كما تظنين ، أنا لست معهم برغبتي أكمل حديثه ب :أنا مظلوم ... والله مظلوم

انسحب الإرهابي وتركها، كانت حياة نور توازي الموت ..

ترك الإرهابي بطاقة مكتوب عليها «الدكتور عمر ورقم الهاتف «، بعد أن هدأت اتصلت بالرقم ، أخذها الفضول للسؤال ، كيف للإرهابي ان يكون دكتور ! !

رن هاتف عمر أجاب : من معي ؟

قالت : أنت المظلوم في نظري

قال : نعم ، أنت شمعة حياتي

قالت :لم أضيء من قبل أيام الرقة

قال: ستضيئ من جديد ، ثقي بالله

كانت المكالمات بين نور وعمر تشفي جروح الأيام التي مرت على قلبها ، فالحب يشفي ويضمد جروح النفس ويزيل علة الروح .

بعد شهر من المكالمات المتبادلة تقيد قلب نور بعمر، الرجل الذي يحمل في قلبه ما لا يظهر على ظاهره ، ذو العيون العسلية والبشرة القمحية أحبته وأحبها ، كانت قصة حب إرهابي وضحية إرهاب ، عمر طاقة من الأمل ورقة خروج نور من الظلام ..

تزوجت نور بعمر، كان زواجهم بحضور عائلة وشيخ يعقد القران ، كان عمر لأسبابه الخاصة لم يخبر أحد أنه تزوج .

عادت ملامح الحياة والجمال على وجه نور ، الحب يغير الإنسان ويملئ حياته بالسعادة ، بعد أيام من الزواج قامت مجموعة إرهابية باتباع عمر وهو ذاهب إلى بيت نور ، تم القبض على نور وزُجَّ بها في السجن لفترة بتهمة هروبها من سجن الرقة ، حكم عليها بالإعدام .

أعدمت أمام أعين عمر، وهي تردد :

كل هذه العتمة ستنتهي ، وستشرق شمس العدالة والإنصاف، سينتقم لنا الله .. امتلأت عيون عمر بالدموع وهو يناجي الله على موت حبيبته التي وجدها بعد سنين من الفرقة ، نور كانت زميلة عمر في الجامعة كان يعشقها من بعيد ، بحث عنها ووجدها واليوم ضاعت من يده أَقّسَم على الانتقام..

كان عمر بالنسبة لنور راية الأمل التي ترفرف وتعلوا أبراج قلبها الذي ضخ بالحب بعد موته ، أعدموا نور لكنهم لم يعدموا الحب الذي جمع بينهما.

بعد سنة ..

تغيرتُ وتغيرت رنيم التي بداخلي ، تقيدت نفسي ، أصبحت شخص آخر ، نور تركت في داخلي شق مكسور ، ألم ذاتي ، حزن مرير يقسم القلب ، متى سأنساك يا رفيقة روحي ..!

تركت المدرسة لأن في كل ركن منها أتذكر نور ، صارت حياتي مملة روتينية لا شيء غير النوم والبكاء عند تذكري لحبيبة قلبي ، فقدانها كان صعب جدا ..

دق هاتفي ، وصلتني رسالة حتى فتحت الرسالة ، أجد « البقية فعمرك ، أعلم أنك لا تزالين حزينة على فراق صديقتك رحمها الله ، أنا الأستاذ أدهم ،كنت زميلك في التدريس في حلب ، أريد القدوم لعائلتك لطلب يدك للزواج ، أحببت أن أخبرك لكي أعرف إذا موافقة أم لا ، قبل المجيء للعائلة . انتهى بكلامه مع احترامي لكَ وللعائلة الكريمة «

لم أكن أعلم أأفرح أم أبتأس ..هل الحياة أعطتني فرصة للابتسامة .. ربما سيضفي على حياتي بعض الألوان بعدما اسودت ملامحها .. أنا كنت تحت وقع الصدمة ، ماذا سأقول ! من أين أتى برقمي ! والكثير من الأسئلة كانت تدور في ذهني ، كان جوابها بسيط لكنها صعبة البوح ! بعض الأشياء إجابتها سهلة لكنها صعبة القول ..

بعد ساعة أعدت إرسال له رسالة قلت فيها « شكرا على السؤال، لكن التفاهم والقبول يكون بعد التشاور والتعرف بين العائلتين، شكرا مرة ثانية

تركت الأمر على المستقبل و على القدر ، ليس من المعقول أن أقول نعم موافقة لا يعقل حسب الأعراف والدين لا يجب للبنت أن تتحدث مع الغرباء في الهاتف ولا التواصل معهم على ولا أساس ..نسيت بعضًا من حزني ، لكن استعمرتني الحيرة والأسئلة ، كانت تتهاطل فوق رأسي كالمطر.

أشعر أن الإنسان دائمًا تأتيه صدف تغرقه حبا و صدف تغرقه أملا كما يوجد بعض الصدف تملأه حزنًا ، أريد أن أخرج من حالتي هاته لكن ما باليد

من حيلة ، نحن في وطن أسواره سوداء و شوارعه دخان وسماءه صفراء و شعبه منطفئ .

سيأتي يومًا ونتذكر أيامنا هاته وكأنها كابوس ، حلمنا به ونحن نائمين تعوذنا من إبليس و انتهى الألم والحزن كما سينتهي واقعنا المظلم ، لابد من نور آتي من الله العالي . نورًا يضيء شوارع أرواحنا سعادة و يزين وجوهنا بابتسامة ويلمع عيوننا أملاً بغدٍ جديد مشرق .

لم يكن الحب يوم جلادًا .. كان الحب جلاءًا ..

لبست الأبيض لعيون « أدهم « .. كان رخصة خروجي من الحزن الذي ألمني طوال السنوات الفائتة.. غادرتني كل نوبات الأحلام السرمدية ..

مرت عدة أسابيع على زواجنا ، وأصبحت كل الأيام تتشابه وكأن الحياة تفرض بأسها علينا ، عادت الانفجارات والهجومات المسلحة حتى أنها ظهرت فصائل جديدة من الجماعات المسلحة ، كل شيء في سوريا ينعدم إلا الشر يتطور ، هكذا كانت حياتنا وأظن أنها لن تبقى طويلاً على هذا النحو نأمل ذلك ..

الوحدة هي نوع من أنواع الانعزال الفكري ، بعيدًا عن كل ما يؤذي النفس و يفسد المزاج ، في بعض الأحيان نيأس في وحدتنا نريد تغيير شيء ما في حياتنا ، نأمل أن نفتح نوافذ بيوتنا على منظر السماء الزرقاء الصافية و زقزقة العصافير التي تنشد الحرية وتعلن بداية يوم سعيد لكن هذا لا يحصل هنا نحن نفتح نوافذنا على منظر عكس هذا تمامًا .. لا شيء ينقذني من واقعي

الذي يتواجد خارج جدران بيتي ، سوى مخيلتي ، قررت أن أغير الزمن و المكان والأحداث و الأشخاص بفعل تغير واقعي ..

إلى أرض لا أنتمي إليها

(الكثير من اللحظات..)

بزغ الفجر وانقشع الضباب عن سماء اللاذقية ، قررنا أن نسافر خارج هذه الأرض سنذهب ونترك وطنٌ يبكي وأرض تتوسل لنا على أن نبقى لكن الظروف تجبرنا على الرحيل ، سأقول لهاته الأرض ، أنا آسفة يا أمي ، سأعود عن قريب ..! وسأجدك مزهرة ، سنزهر خارج بحارك و سنزرع ثمارنا هنا ، عندما نعود إليك سنحضنك ، ستبتسمين ضاحكة .. لا تقلقي لن يطول الغياب يا حبيبتي ..

تملكني الحنين وعادت بي الذاكرة بعد أول صدماتي مع أدراج الغربة قبل أن يسافر جسدي إلى أرض لا تشبه ! ..سأترك روحي هنا سيسافر جسدي بعيدًا من هنا ، أخذت شهيقًا طويلا من هواء سوريا ، ودَّدت لو أن الهواء يحمل في حقائب السفر ، يؤنسني في غربتي و في كل وحشة لوطني أستنشق جرعة من هواء وطني يطيب لي خاطري ويجبر لي غربتي ..أقلعت الطائرة بدون رجوع ، الوجهة «فرنسا» المدينة التي لا تشبهني ..!

كنت فرحة وأنا أخطوا عالم لم أشاهده إلا في سرابي الذي كان يجول بي مدن لا أعرف منها شيء سوى أنها كانت تسكن فيها أحلامي ، أحببت أن يكون أدهم وتيني في غربتي إلا أنني أدركت أنه أخذ الحقائب ولم يأخذني ..!

ها أنا يا باريس الأحلام .. يا مدينة تزينت بالأضواء ..يا بهيجة الهيئة ..يا مدينة سكانك يشدون نغمًا .. ها أنا قد جئتك من مدينة مظلمة الملامح .. حزينة الطلة .. مدينة سكانها يموتون خوفا من موسيقى الرصاص ، مدينة لا تشبهك يا باريس .. فهل ستقبلين بي ؟

مرت الأيام وتوالت ، كنت أقاتل الغربة وحيدةً ، أدهم تعلم اللغة الفرنسية أما أنا فكانت اللغة صعبة بالنسبة لي، غير التي كنت أتخيلها في سرابي ، ربما في قانون الأحلام يستسهل كل صعب أما قانون الواقع يخالفه ، كما خالفتني هاته المدينة وخذلتني سأتحدث إذن ولن أصمت بعد الآن ، فالصمت أصبح اللعنة الوحيدة التي ترافقني و تشد على أحبال حياتي ، الصمت قاتل وصادم ..!

٢٠١٥ /٠٩/ ٨

كان الطقس في خارج البيت بارد جدا ، خرج أدهم كعادته صباحا لعمله وأنا كعادتي الدائمة أستيقظ مبكرًا أحظر له مائدة الفطور و أعد له الشاي الأحمر الذي يحبه ، إلا أنه مؤخرا قد تغير قليلاً أصبح يشبه الفرنسيين ، يشرب كوبًا من القهوة و قطعة من حلوة الكروصون الفرنسية .. بعدها أذهب و أنظم البيت و أفرشه ثم انتقل لقراءة كتاب و مشاهدة التلفزيون لينتهي يومي بمشاهدة زوجي آتي من العمل مرهق البنية و النفس .. وهكذا أخذ الروتين يتكرر ..ثم يأخذنا الحديث قليلا عن يومنا الذي كل منا يعيشه على انفراد .

كنت أبحث في إحدى المجلات الإلكترونية حتى صادفني إعلان مكتوب فيه « مشروع إعداد كاتب ، هذه فرصتك لتكون كاتب ناجح ، اتصل بنا على الرقم التالي ..» تفاجأت أنا أمتلك ذلك الحس الخيالي ، وتلك السعة من التعبير وأظن أنني على مقربة من الحلم الذي كنت أبحث عنه طويلا ربما هذه فرصتي لأضخ الحياة في وطني ، سأتبرع بحبري لحلب و تدمر ، اللاذقية ، سأضحي بورقي لدمشق و حمص وحماة ستكون كلماتي شفاء لجـــروح

طرطوس والسويداء ، سوف أضيء أنوار درعا والقنيطرة ..ستكون دير الزور والحسكة تشع أملاً .. ستكون سوريا تفيض فرحًا .. سأكون أنا أنتفض حبرا ..

جاء أدهم في المساء وأخبرته أنني سأبدأ في كتابة رواية

فقال ما الذي أيقض دفين حبك للقلم ؟

قلت أيقضه بعدي عن وطن صرت أعرف أخباره من الغرباء، أكملت كلامي وأنا مستاءة

قال وهل حبك سيملأ ١٠٠ صفحة ..! أنهى كلامه ساخرا علي

قلت وهل حبي لوطني يقارن بصفحات معدودة

قال لم أقصد الإهانة ، لكن الأمر أصعب مما تتوقعين يا عزيزتي ..!

لم أرد عليه بشيء ، قمت من مكاني وتركته يشاهد وطنه الثاني من النافذة ..

أصبح الوطن يزورني كل يوم وأنا أحمل قلمي فيضمني إليه ضمة مشتاق كان يظن أنه لن يلتقي مجددًا بميت غادر الأرض إلا أنه لم يغادر الأحلام ..كان الوطن يسكنني بعد أن غادرته إلا أنه لم يغادرني .. كان يمسح دموعي وهي تنهمر من الوحدة التي كانت تختالني بين هذه الجدران الفرنسية وسراب ذلك الرجل الذي كان زوجي وأصبح الآن خيال زوج ..

تغير أدهم جدًا حتى أنني لم أعد أعرفه ، وكأنه ليس الذي أعجب بي وأحبني ..الغربة أخذت مني زوجي ، أأكره باريس بعد فقداني لأنيس روحي وحارس قلبي أم أحقد على من أخرجني من وطني..! أأبغض على حبيب أحب مدينة

و تخلى عن زوجة أحبت معه أرض قاحلة و سماء تقصف ! ألم أكن أنا مدينته..!

كيف له أن يحب غيري ؟ ألست أنا أحب البشر لقلبه؟ أو حبه كان مؤقتًا .. محددًا بالزمن والمكان ..أحبه لي غير عابر للقارات أو كانت سوريا مقبرة حبنًا ؟

سأكتب .. سيكون حبري حبيبٌ لا يفارقني .. وستكون كلماتي وطن لن يغادرني .. سأتحدث عن ألمي و لآمي ..!

٥١/٩٠..

كانت الساعة تشير إلى السابعة مساءً بتوقيت غربتي ، تأخر أدهم بالعودة للبيت ، بعد ساعتين اتصل أنه لن يحضر للبيت اليوم .. وأنهى كلامه قائلا أن لديه عمل و إذا تأخر..لم أهتم قلت لابأس ..!

ليلة برفقة أوراقي ، فتحت رأس الصفحة الثمان كتبت :

« يا حبيبتي سوريا ، كم اشتقت إليك دام على فراقنا السنة بتوقيت الواقع ، لكنني أزورك كل ثانية أتنفس هواءك وأمشي فوق ترابك ، أنتِ في خيالي بلا قذائف ولا صواريخ ، أنتِ شبيهة بالجنة .. مزهرة أنتِ يا سورية ..!»

صرحتُ وأنا أشاهد من نافذة غرفتي الزجاجية باريس وطلتها الغربية ، التي لا تشبه بلادي و التي لا أحس أنني منها ولا أنتمي إليها ..! ربما رفضتني هذه الأرض أو قلبي رفضها وأقدامي تريد الرجوع إلى وطن مولدها ..! ربما هواءها لم يناسب رئتاي .. أو يمكن أن تكون عيوني لم تألف الإضاءة العالية لباريس ...»

يوم جديد ، أشرقت الشمس على زجاج نافذتي فأيقظتني بلطفها وحنانها ، كان صباحًا منعشًا أحببت أن أبدأه بإيجابية وطاقة عالية وقررت أن أتجول ما بين المكتبات .. استقلت سيارة لتطيربي إلى عالم الكتب ..

كانت المكتبة لشخص جزائري تتوفر لديه كتب عربية و مترجمة للعربية، اخترت خمسة روايات، كانت تلك اللحظات مليئة بالسرور وهذا الإحساس لاشك أنه ينسكب عند كل القراء بعدها أخذت أسيرفي ممرجوانبه محلات و فنادق ومقاهي ذلك الشارع من أحب الشوارع على قلبي ، أخترت مقهى ، كان على جانب محل لبيع الورود ، فاخترته جلست مقابلة الورود أتمعن فيها وبجمالها الأخاذ حتى أتت قهوتي الكابوتشينو .. أصبحت مدمنة قهوة، أخذت لقطات بهاتفي للحظات الجميلة التي كنت فيها ما إن كدت أنتهي حتى صادفني منظرلم أكن أتوقع أن أراه ...

كانت شقراء ..

ذات عيون زرقاء ..

تشد يد أدهم وتمشي بمحاذاة المحلات ..

كان أدهم مبتسمًا ويثرثر بفرنسية تليق بعيونها ..

كان يدعس على قلبي ويمزق شرياني .. فقتلني ..!

توقفت دقات قلبي عند أول حرف لفظه كان موجها لها ، كانت حتى الحروف تشارك في قتلي ..!

لم أوجهه لكني قررت أن أفترق عنه ، ساد الصمت بيننا وأصبحنا غرباء حتى يوم قال لي أني أصبحت مهملة لماذا تغيرتِ ؟

تغيرت لأنك تغيرتَ

أنا أحبك يا رنيم، لماذا تتصرفين هكذا ؟

كان جوابي مزيج من النظرات التي تصرخ في صمت دام الدقيقة ، لتقول أنا أصبحت وحيدة لمرتين يوم دست أرض هذه المدينة ويوم تخليت عني ..!

آه .. لو كان كل الذي يختلج ويخدش الروح يحكى ، لكنت أحسن

كانت تلك الليلة ، ليلة اللوم و العتاب، بكيت طويلا وأنا أحضن الجدران واشتكي لها كانت هي الوحيدة من تسندني ..

كان لي وطن وموطن لكن الموطن خانني و الوطن لايزال في قلبي و روحي وذاكرتي وفي مستقبلي وحاضري .. لن أتخلى عن ذكراك أبدا

حَلَّ الصباح ، فتحت عيناي وأنا أستمع موسيقى لإحدى أغاني وردة ، كانت الأنغام جميلة غيرت شيئًا ما في جو البيت وكأنها كانت موسيقى بداية جديدة . لم أكن أحلم غير أن نكون سعداء لا أريد شيء من الدنيا ، أنا سافرت لأجد الأمان و الاستقرار وليس حبًا لهذه المدينة ولا إعجابًا بأبراجها ، كانت عيوني لا ترى سوى سوريا وروائحها وكان أدهم أحد الروابط التي تربطني بالوطن ..

نهضت من سباتي الذي دام طويلا ، كان أدهم في انتظاري على طاولة مفروشة بالورد و الأكل يتقدم الطاولة بخطوتين مرتديًا طقمًا أسودا ووردة حمراء

تتقدمه بشبرين ، كانت عيونه العسلية تحكي قصة حب هذا ماكنت أشعر به

- ما هذا يا أدهم ؟
- هذا مجرد اعتذار لك
- ولما الاعتذار فكل الذي جرى ،جرى وانتهى
- ما الذي جرى ؟
- رأيتك في شارع هوسمان ..مع تلك الشقراء
- لا ، أنتِ فهمتي ..

(أنهى كلامه معللاً أنها كانت زميلته في العمل ..)

أجبت وأنا أقول لا عليك ، لابأس ..

قررت أن أعطيه فرصة ثانية ، ربما أنا من أعطيت الموضوع أكبر من حجمه تركت الموضوع لتتحدث عنه الأيام المقبلة ..

رَنَّ هاتفي مساءً ، رقم غير مسجل عندي رفعت سماعة الهاتف ليأتيني كلام فرنسي غير مفهوم ثم تتجزأ الكلمات لتقول

étéicoS ed snoleppa suov suon ,emadaM riosnoB suon ,liavart ud tnedicca nu ue a iram ertoV ! éticirtcelé'd ! .. latipôh'l à énemme snova'l

قلت : neib av iram nom euq ec-tsE !

كان الخوف يتملكني، كان جسمي يرتجف ، كنت أتساءل ، ماذا حَلَّ بروحي ؟ ندمت أني عاتبته ، تذكرت آخر اعتذار له ، كنت أتحدث مع الأنا .. يا ترى هل كان يودعني !

جريت في شوارع باريس أبحث عن سيارة أجرة ، لم يكن لي في باريس أحد ..!

كنت حزينة لحد البكاء دون توقف ، وكأن سيولا من الألم تذرف من عيوني التي ترجع بي إلى أيامي مع زوجي الذي يصارع الموت .. كـــنت أدعي الله أن يرده لي سالماً ، لا أريد حزنًا جديـدًا يدخل حياتي .. !

وحيدة أبكي في ممر يجلس على شمالي الحزن وعلى يميني الذاكرة ،كيف أهرب منهما؟ يستلمني الإيمان ليفصل بيننا بالحق لا نعرف على أي أرض نموت !

تحدثت مع أحد الأطباء وكان من حسن حظي أنه عربي ، أخبرني أن حالته مستقرة وقد فقد الوعي جراء صعقة كهرباء، عدت إلى البيت باكية متألمة على فؤادي دعوت الله كثيرا ، سجدت طويلاً لم يكن لي إلا رب الوجود ، كانت من أشد أيامي حزنًا لم يكن لي سند استسلمت للقدر و سلمت أمري لله ..

ظل أدهم في المستشفى لمدة أسبوع ، بسبب بعض الحروق التي رسمت على جسده ، كانت ندوب غربة وألم فراق وطن وذنب أعداء سلبوا منا الحرية ورمونا إلى أوروبا لاجئين ..

كنت أكتب كلمات تخفف من وجعي وتسكب كوبا من الحبر و الجبر في أوراقي ، كانت منفذي الوحيد لأتحدث إلى نفسي لم أسئل حالي يوًما ، لماذا لم تحبي يومًا قبل أدهم ؟ كان السؤال في العادة لا أطرحه على نفسي أجبت على السؤال قائلتًا « ما معنى الحب أولاً ؟ الحب هو زوج يهتم لفرحك .. لمرضك .. لحزنك .. يتذكر عيد ميلادك فيفاجئك بهدية تقدير على مكانتك .. الحب هو زوج يخاف الله فيك .. يسندك و يسعد لسعادتك .. الحب هو شعور متبادل بين زوجين ، الحب لا محصور .. الحب لا حدود له .. الحب شعور سامي .. «

كان الوقت فجرًا وأنا كنت سائحة في الورق لم أشعر بمرور الساعات في حضرت الكلمات ..

مرت الأيام والأسابيع والسنون دون أن أشعر أننا نتغير و تزداد الدنيا عبئاً على عاتقنا ..

كنت على وشك إنهاء أول إصدار لي رنيم الحلبي سيكون اسمي لامعًا في أول صفحات الرواية تحت عنوان « أحببت وطن « شعرت أن هذا العنوان هو المناسب لرواية حروفها من حنين و حبرها من حب يشبه الوتين .. كان للكتابة وقع الحرية على نفسي .. لا أحد حدود فيها حتى أن في الكثير من المرات لا أحترم الفواصل والنقاط ..الكتابة هي أرض الحرية ..

لا يعقل أن أكون في هاته المدينة التي في نسماتها عبيرٌ من نسمات الحرية أن تقيدنا ..!

هكذا انتهيت الفقرة ،أخذت هاتفي أقلب في صفحاته لأجد رسالة من دار نشر فرنسية تنشر بالعربية ، يقولون فيها إذا تريدين التعاقد معنا أرسلي لنا كتابك لتدقيقه ..

بعد سنتين من المقاساة والحنين و البكاء على فراق الوطن ، سأنشر روايتي التي كتبتها من حسرات الأوجاع و ألآم الثواني ..

لم أكن أحلم سوى أن أرى كلماتي و خلجاتي وآهاتي تطبع في الورق لتكون انتقام لأيامي العجاف التي مررت بها ، لتكون وصف لغربة وطن ..

لم تكن روايتي تحاكي الآلام فقط وحتى أنها كانت تقاسمني حب الوطن الذي يحيا في قلب كل مغترب .. لولا الحرب لما ارتحلنا إلى هذه المدينة المنيرة لولا عتمت أنفسنا لما كتبنا، لولا بئس ما حولنا لما قرأنا .. لولا الأدب لما تميّزنا ، لولا الحلم لما واصلنا المسيرَ..

في ذات يومٍ فتحت نافذة غرفتي على ألوان أشجار باريس المصفرة التي تتساقط حزنًا عن هموم ساكنيها ..

لم تكن هاته المدينة إضاءتها تصل لكل أفرادها هنا يوجد من يفترش الشوارع ليلاً يتجمد بردًا ، هنا الحياة ليست مضيئة كما يشاهدها العالم من فوق حياة البعض معتمة رغم أن كل شوارعها مضاءة ..

أخذت أعِد القهوة الفرنسية كالعادة ، سكبت كأسين واحد لي و الآخر لأدهم ، جلسنا متقابلين نستذكر معًا لحظاتنا التي عشناها في سوريا .. لم تكن الذاكرة تغادرنا أبدًا ، لم تكن نظراتنا سوى تذكرة عبور إلى الماضي الذي يبعد عنا مسافة بحرين و قارة ، لابد من أن نكمل هذا الطريق الذي بدأناها ، قد تكون هذه آخر قهوة نشربها في هذا الوطن الغريب بكل تفاصيله ، لغته ، عادته و حتى بيوته ، رغمًا أنها جميلة و منظمة . إلا أن لا يستهوينا عشق مدينة أو وطن كعشق سوريا .

سأكتب لهذا الوطن ، رسالة إعتذار ، بعد أن غبت عن أرضك .. سأحمل حجرك وترابك في يدي .. ستتساقط أمطارك فوقي و سأشم رائحة هوائك النسيم .

لم أكن أتوقع أني سأخطوا خطواتي على أرضك مرة أخرى كنت حلم يا وطني ، مهما كانت الأحلام صعبة المنال إلا أنها تحدث في دقيقة ما أو في ساعة ما ..

الآمال والأحلام هي حياتنا الثانية التي نريد أن نحققها بعيدًا عما نعيشه سيتغير شيء ما ..

كانت تلك اللحظات ، توديعا لحياة بائسة وترحيبًا بحياة مليئة بالسرور والسعادة ..

الساعة ٠١ صباحًا بتوقيت باريس

قمنا بتوضيب كل أغراضنا للعودة للوطن ، ذهبنا للمطار، كان الشعور الذي يتملكني هو نبضات قلب عاودت الخفقان من جديد

دامت رحلتنا من باريس إلى إسطنبول الساعتين ثم إلى سوريا ساعة ونصف .

ها أنا هنا نزلت أرضك يا حبيبتي .. سامحيني لم يكن ذلك من رغبتي ولا من بؤسي ولاخوفاً على نفسي ، لكن كانت رحلتي من أجلك يا أرض ، ها أنا عدت ألا تأخذيني في الأحضان أنا ابنتك التي غادرتك ، حدثتك في رحيلي عنكِ أنني تركت قلبي عندك ، وأنا آتية الآن لاسترجاعه لأن روحي تحتاجه ، وتحتاجك ، أعدك أنني لن أرحل بعد الآن... سأمشي على ترابك و جبالك حافية القدمين ، سألف في قطعة قماش وأدفن في أحضانك ،أعدك لن أرحل.. ستكون أيامنا مليئة بالبسمة ، آسفة لأنني تركتكِ .

أنا كتبت عنك يا عزيزتي ، نشرت كتاب يحتويك ، يدللك يحكي عن واقعك .. ، أنا ابنتك جاءت لك باكية سامحيني أرجوك ..

ألا عودتي هاته تخفف عنك آلامك ، سأداوي جروحك سألملم أوجاعك ، ها أنا عدت لتحكي لي عن الندوب التي جرت لك في غيابي ، تقبلي اعتذاري يا وردتي ، فليس لي أرض أحب إليَّ منكِ ..

عام يذهب وآخر يأتي وكل شيء فيك يزداد سوء
يا وطني

محمود درويش

تداخلت المشاعر و الكلمات ولم أعد أعرف ماذا أكتب ولا ماذا أخط ، ذهبت باريس بعيدة عني .. تأكدت أن لا عيش دونك يا حبيبة الفؤاد لكنك لازلت مظلمة كما تركتكِ ..أعتموا روحكِ وأخفوّ شمسكِ تركوكِ بين الركام تنازعي الآلام و الأوجاع بين الأموات والأحياء ...

بكيت كثيرًا على فراق أرض لم أكن أرغب أن أغادرها يومًا ، كنت أظن أن بعودتي سأجدها مزهرة لكنني تفاجأت بغبطتها نسيت أني أخبرتك عند وداعنا أننا سنزرع أملا في أرضك إلا أن تربتك أصبحت غير صالحة للزراعة .. مشينا في سيارتنا بين المباني المحروقة والمفجرة يكسوها الرماد تحكي عن قصص رعب لن تراها إلا في سوريا .

بين أزقة المباني سمعت دوي الانفجار وصراخ الأطفال و بكاء العجز و النساء وتكبيرات الآباء لم يكن المشهد مشابها للذي عشته قبل ثلاث سنوات كان الإجرام هنا وصل لمرحلة الدمار الشامل ، أحياء بلا روح ، جدران تنزف من القصف لا شاهد هنا على الجريمة سوى قطرات الدم التي تركوها خلفهم و الإسمنت المتراكم فوق بعضه لا أحد هنا يتكلم .. خرصوا.

ساق بي أدهم إلى بيت أمي كانت المشاهد في الطريق إلى البيت تكسوها فجعة الفراق وغصة الظلم التي بقت شواهد مرصوصة الطرقات دامت رحلتنا الساعة كانت أثقل من لحظات كانت شبيه بعبور وسط النار كنا نحترق بعد كل هذه السنين، ها أنا أشاهد شبيه البيت الذي ولدت فيه في وسطه دائرة كبيرة كانت أثر لقذيفة خطونا خطوات المخاض إلى داخل البيت ، كانت الأوراق ملقية على الأرض و رواياتي وذكرياتنا ملتهبة .. كانت بالنسبة لهم

محرم قراءتها ولا الاحتفاظ بها لم يسلم منهم حتى القرآن ، كان ملقى على البلاط وفوقه ركام من الأوراق والثياب كانوا ينتقمون منا بعد أن هـــربنا منهم ...

عيوني بكت أسى ، ولم أكن أرغب إلا بمغادرة المكان ، لأنه أصبح أشبه بألم كنت أكتب عنه في أحد فصول روايتي ، أيقنت أن الكاتب يترجم أحاسيسه و دواخله في كلمات مبعثرة في كتب مكدسة فوق بعضها لا تبرح حتى تُقرأ ومن يقرأها يتأكد أنها حاضرة في زمان ما أو مكان ما في ذاته أو في غيره ...

كانت الأجساد تسير أمامي وكأنها أشباح ، وجوه شاحبة .. ملامح كئيبة لا شيء سوى العبوس، تركنا حلب وراءنا ولاحت لي جدران بيتنا أطلالاً تودعنا باكية عصفت المشاعر في داخلي وأدركت أن روحي غرقت في الطوفان الذي ضرب كياني وهوى بي في أعماق المياه حتى انقطع نفسي إلا أن حزني لم يتوقف..

كانت عائلتي غادرت الوطن ولم تعد بعدها أبدا .. غادرنا المدينة كما غادرنا الوطن ولن نرجع إليها ...

رماني الحزن إلى أبيات المتنبي :

بم التعلل لا أهل ولا وطن

ولا نديم ولا كأس، ولا سكن

قررنا الانتقال من حلب ، الشهباء الحزينة مدينة الشعروالشعراء، مدينة تحرسها آيات الرحمان من كل سوءٍ يطوف حولها وكأنه السفاح يريد تدميرك يا قلب الشام كلا والله الأعلى من أياديهم السفلى لن يتخلى عنك أبدا ..

وصلنا للبيت بعد آذان المغرب كان البيت متواضع كان مطلي بلون فاتح يضيء في وسط السواد المحيط به ...

التعب أنهكنا نمنا نومًا عميقًا كانت استراحة وجع النوم أخرجني من غمرة أفكاري البائسة في اللحظة التي فتحت فيها عيوني أدركت الظلام الدامس والمكان غرق في الصمت لم أعرف أين أنا نسيت كل ما جرى ندهت بصوت خافت «أدهم أدهم « لكن لم تكن هناك أذن صاغية كانت الجدران تردد ورائي ثم عاودت مرة ثانية ربما كان «أدهم» نائما نومًا عميقًا من شدة التعب حتى أجاباني

- نعم ، رنيم (شوفي !)

- (كأنوا الكهرباء انقطعت !!)

مسك هاتفه وأشعل فتيل من الضوء وحرك السكون المحيط بنا زوجي حبيبي دائما أجده في أعتم اللحظات .. لم يكن سواه ينور قلبي ويحيط بآلامي ..

تعودنا على الانقطاع المتكرر للكهرباء وكذلك تعودنا على صوت الانفجارات البعيدة .. ربما رجعنا إلى حياتنا الأولى .. لكن بروح جديدة .

اليوم التاسع بعد عودتنا

صباح جديد يشرق على مدن تآكلت ، أردنا أن نعيش فسحة من الأمل ، لولاه لما عشنا الأيام العجاف التي مرت بنا نظفت البيت وفتحت نوافذه لتدخل له نسمات الصباح لأشبع رئتي بهواء الوطن شغلت أغنية لفيروز لما أنهيت كل

التوضيب ، أتيت بفنجان من القهوة ومسكت رواية أقرأها أو ألتهمها بنظراتي أعيش فيها ..فتداويني مرة وتحزنني أخرى

فكرت مليًا في الكتابة مجددا ، سأكتب عن عودتي ، سأكتب عن مواجعي كانت الكتابة بالنسبة لي إفراغ شعور في الأوراق الصفراء تحدثت بصوت مرتفع « دعك من الكتابة يوجد الكثيرلتفعليه هنا»

ثم عقدة الدهشة لمدة ثانية بعدها رجعت قلت بصوت مرتفع « لابد من أن أكتب»

الكتابة هي بوابتي الوحيدة للاختلاء أنا و أفكاري نتقابل على سطور الورق نتجادل ونتعانق كل منا يجد نفسه فيما يحب فعله ، لم أكن يومًا أكره عزلتي مع أوراقي وكتبي في بعض الأحيان يكون الانعزال هروبًا من مجتمع يضج جهلا وخبثًا لم يكن من حولنا سوى أعداء يعانقون أسلحتهم وجهلاً يعانق عقولهم لا أحد هنا سينجى من مكرهم إلا طويل العمر حينها تأكدت أن حبري هو من سيقطع دابر الجهل و أذنابه أثبت القلم جدارته عبر الأزمن أنه السلاح الرائج لكل محاولات اغتيال القضايا والورق..

صباح آخر يطل على ساكني حلب ، لم يسبق أن مرَّ صباح كهذا علينا مشرق سماءه شديدة الزرقة غزت به الحياة في نفوسنا كانت الجبال تهلل و الأشجار ترحب بزائر طال غيابه أهذا الصباح الأخير على حلب لم يمر علينا صباح كهذا منذ ثمان سنوات إلا أنه لم يستغرق سوى الساعتين حتى دُقَّ بابنا بكل قوة .

طلب مني أدهم أن ألبس حجابي ثم أخذ يهرول نحو الباب بخطوات سريعة ، ما إن فتحه يصادف أمامه منظرا لم نتوقعه مجموعة إرهابية يكسوها السواد نظرات حادة وكأنهم يقولون في دواخلهم اصطدنا الفريسة سينقضون عليه وكأنهم أسود جوعى أدهم شحب وجهه وتغيرت ملامحه أمسكوه بشدة على يده وسحبوه إليه وقالوا له بصوت صارخ (أنت أدهم)

قال (نعم ، أنا)

قالوا له (أنت الهارب من حكمنا ها أنا رجعت إلى بابنا أين المفر) لم يجد ما يقول إلا أنه صرخ (أوصدي الباب من بعدي) كانت تلك آخر كلمات أسمعها منه

كنت ألتقط بعض النظرات من شقاق الباب ، كانوا يمسكونه رجلين مسلحين قادوه لسيارة من نوع فولفو .. عليه علم دولتهم السامية مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) حاشاه دين محمد من خبثهم و سفكهم كانوا يطبقون حدودهم بتفاصيلها المرء أول ما يراهم يكون أذاهم يسبق أجسادهم يشعون فسادًا وضلالاً هم قوم يستمتعون بمقت أنفسهم

ها أنا جالسة وحيدة بين جدران هذا البيت الخرساء لا نداء ولا كلام ، أنا الآن في عمق فوهة الصمت لا حديث ولا مجيب ، لا ملجأ ولا ونيس ، لا أهل ولا حبيب

لم أكن أعلم أنني بعد عودتي أجدك هكذا يا وطني ، ألموك كثيرا في غيبتي كانت تلك الليلة شهدت هطول مطر غزير طهر القليل من نجاسة الأوغاد تهاطلت دموعي على حال وطني وعلى حال زوجي وبكت السماء معي شاركتني

وكانت أنيست زعزعت القليل من الصمت الذي كان محيط بي جلست بمحاذاة النافذة ماسكة في يدي دفتري وقلم أسود لأبدأ روايتي الجديدة كتبت في رأس الصفحة الأولى عنوان « نشيج سماء « بعدها كتبت « صاحت السماء باكية شوقًا للأحبة بعد عودتهم تقيدت أيديهم وألسنتهم لم تكن لهم قائمة أمنيات سوى أن يعودوا إلى أرضٍ تألمت تأوهٍ أصبحت أرض صماء يكسوها الحزن و البكاء .. «

أكملت فقرات من الرواية ، وغطيت في نوم عميق لم أكن أعلم كيف نمت تلك الليلة لكنني أحسست أن الوجع خذر جسمي وكأنه كان هروبًا من الألم

الساعة السابعة صباحا

أيقظتني أشعة الشمس ثم تلاها إسمي يردد من بعيد وكأنه صوت أدهم ما إن فتحت الباب وجدته يقابلني عادت روحي إلي ..وكأنني كنت ميتة ملأت رئتاي أنس..

جلس مطولا يتفوه بكلمة ما جرى قال أنهم أخذوه لزنزانة انفرادية وأخبره الحارس أن كبيرهم سيأتي الغد ليحقق معه حين وصل تبين أنهم تلقوا شكوى أن أدهم شرطي وحين نفى لهم الأمر تركوه ..

مرت بسلام هذه المرة جلس أدهم وحيدا يفكر وأنا أراه من بعيد تنعقد على ملامحه الحيرة ثم قال بصوت مرتفع يجب « أن نسافر ، أنا لا أستحمل أن أعيش في هذا الرعب اليومي «

الحياة هنا لم تعد لائقة للعيش ..

قررنا أن نرجع إلى باريس مدينة الأنوار، تاركين من وراءنا مدينة الأشباح سأسافروأنا مقتنعة أنك ستبقين في قلبي إنما أنا لن أكون في أرضك آسفة لكن أرضك تنبض خوفا ورعبا

كان لابدا من السفر بعد تعرضنا لذلك الموقف ، أصبحنا عرضة للخطر أعدنا ترتيب أغراضنا ورزمناها في حقائب الغربة كانت غربتنا حتى في وطننا أصبح المكان لا ينتمي إلينا ولا نحن له تغيرت الأرض و العباد و اشتد البؤس وتذكرت حينما وقع أبو الفارس حمدان أسيرا في أيادي الأعداء

قائلا :

يا أمتًا هذه منازلنا

نتركها تارة وننزلها

حتما سيأتي الصباح وإن غاص الليل قرون ينتظر طلوع الفجر ستشرقين من جديد لابدا أن يحصل ذلك حجزنا في أول طائرة متجهة إلى فرنسا كانت وسيلة الهروب تحلق فوق سماء وطني كنت أسترق نظرات الوداع الأخير

الساعة الواحدة زوالاً بتوقيت باريس

كانت تلك الساعة موعد نزولنا على أرض لا ننتمي إليها إلا أنها مدينة نسكنها توشحنا أملاً تحضننا أمنًا د تغرقنا غربتًا وهل سأمتي يا نفس من غربتك ؟ الكثيريتغرب اليوم أصبحنا قبورا منسية ملقاة وراء البحور تذرفنا أمواج البحر بعيدا إلى الشاطئ موتى ثكلى أرامل مفقودين نحن من أُغرقنا في أوطاننا نحن من تقطعت بنا السبل نحن من خرجنا خوفًا و فزعاً قررنا الموت في

البحور هروبا من شبح الموت .

جلست أتحدث مع نفسي وأخاطب روحي إلى متى يا نفس ستبقين هكذا تحنين إلى وطن أصبح مجموعة ركام و مقبرة للأحياء قبل الأموات ؟

سأبقى أحب وطن يسكن داخلي يتغلغل في نبضاتي أليس الحب أن تُسكن الأحبة في قلبك أنا أفعل ذلك وطن لا أسكن فيه ولكنه يسكن فيَّ متى كان حب الوطن يقف على ناطحات عاليات أو بروج راسيات حب الوطن يتجسد في أرض حرة ونحن أحرار داخلها إلا بعد أن دقت الحرب أبواب سوريا ، أصبحنا أسرى وطن ..

سرحت كثيرا وأنا أنظر في زرقة السماء من نافذة بيتي حاولت الاتصال بـ أدهم لكنه لم يجني لم تكن لي أدنى فكرة عن تأخر أدهم عن العشاء اليوم كان قد اتصل بي وأخبرني أنه سيتأخر لكنني انتظرته طويلاً ولم يأتي ! ، كان ذلك الانتظار طال لعدة سنوات ولم يأتي أدهم ، أين هو ؟ لماذا تركني بلا مقدمات! ..كان التخلي أسهل شيء بالنسبة له أكنت أنا التي تمسكت به زيادة عن اللازم كانت كلماتي لمدة سنتين تكتب وتفرغ في قالبها المناسب بالحبر فقط يفرغ الكاتب كل دواخله أصبح أدهم كذلك مدينة لا أسكن فيها كان اختفاءه علامة استفهام لا أدري ما جرى له ربما قتلوه قدمت شكاوي كثيرة لكن دون جدوى لم يبقى له أثر..

تناسقت مع الأيام التي تخلوا من حبيب لا أدري عنه شيء سوى أنه خرج ولم يعد ثم باغتني شعور غريب لا يوصف (ربما ادهم تزوج من تلك الشقراء

وتركني ربما كان رجوعه إلى فرنسا موعدًا للقاء مع حبيبته وليس خوفا من الحرب) .

كتبت في روايتي العديد من الصفحات لكنها كادت لا تكفي لأن الخذلان شعور لا يستطيع المرء التعبيرعنه بالكلمات الخذلان شعور لا يكتب ولا يوصف .

الرابع من يناير ، كنت أنتظر طلوع الشمس أردت أن أرى الزرقة بارزة في السماء لتفتح نفسي على الكتابة لم أشتهي يوما شيء كاشتهائي للكتب والكتابة والكلمات كانت أسعد أوقاتي أن أمسك قلمي وورقي وأبدأ أدون كانت الكتابة رحلة ممتعة تطوف بي في خيالي الشاسع ترحل بي إلى محطات الذاكرة كانت تستوقفني في كل مكان تأتيني الكلمات بغتتًا فتجبرني على كتابتها فورًا كانت مثل الوحي تفصلني عن العالم ، الكتابة قرين النفس .

لم أعد أتحمل هذا الضغط الرهيب لا أريد سوى لحظات من السعادة أهذا أمر صعب جدا ..

رن هاتفي وأنا منشغلة في قراءة ما كتبت حملت السماعة

قلت (من ؟)

قال (أنا أ.. أ ..أ)

قلت (من أنت)

كنت أتحدث وأنا أشك أن المتصل قد يكون زوجي إلا أن بعد هذا الغياب الطويل أصبحت لا أعتقد أن يتصل بي في أحد الأيام ، إختفاءه دام السنتين بدون سابق إنذار أهلي كانوا يظنون أنني أعيش في حياة وردية مع زوجي في

مدينة أوروبية كهذه لكن الحقيقة أنا أريد الرجوع لوطني حيث الرصاص و الصواريخ ، الإنتظار إحساس يعذب النفوس ويذبح القلوب أستقر على حافة المحطة لسنتين أنتظر في العائد من الرحلة التي لا أعلم أين اتجهت ولا سبب سفرها يا ليت نرجع لكن لا نستطيع علينا الانتظار

قال (أنا أدهم)

تفاجأت وصرخت (أين ذهبت كل هذه المدة !!)

قال (كنت لابد أن أختفي لأجلك يا حبيبتي ؟!)

قلت (لماذا لأجلي ماذا حدث طيب تعال للبيت لنتحدث)

قال (لا أستطيع انتظريني يا حبيبتي)

قلت (ألو، ألو أدهم) انقطع الاتصال تملكتني الحيرة إلى أين ذهب هذا الرجل ما الذي حدث له كان اتصاله صاعقة على رأسي .

كان وضعي يسوء مرة بعد مرة كنت متجهة إلى الاكتئاب تخليت عن نفسي وعن القراءة والكتابة لم يكن شيء يستهويني سوى البكاء لقلة حيلتي ووحدتي لم يكن يجدربي أن أبكي كان يجب علي أن أنفض غبار السنين البالية التي أبكتني كثيرا قررت في ليلة من الليالي أن لن ألبس رداء الحزن من بعد تلك الليلة لا يعقل أن أبقى على تلك الحالة حالة الانتظار المستمرة بدون أي تحرك فقط متسطحة وأنظر للسقف الأبيض لمدة سنتين وطلب مني أن انتظر إلى ما لا نهاية بدون أي توضيح ، قررت أن أبدا من جديد سأسعى لأكون ذاتي أتعلم أكتب أقرأ لكن بعد هذا الحديث تذكرت نسيت أنني لابدا

من أن أخبر عائلتي بهذا الواقع لكن تريثت حتى أقوى لم أكن أريد أن تسمع والدتي ضعفي أخبرتها أنه غائب لمدة سنتين بدون أي سابق إنذار وهاتفني بشكل غريب قبل يومين طلب مني الانتظار قال أنه اختفى من أجلي ردت علي والدتي بدهشة كبيرة قالت عودي إلى تركيا إلا أنني رفضت الخروج من هذا البيت طمحت بعد اتصاله أنه سيعود في آجال غير بعيدة ..

بعد مضي ثلاثة أشهر من الاتصال قررت أن يكون ذلك الشهر آخر موعد لي مع الانتظار اكتفيت إلا أنه حقا كان آخر شهر للانتظار اتصل بي رجل لم أتعرف عن صوته قال أن زوجك قد رفع عليك قضية طلاق كان ذلك أحد امن أحد الموظفين في المحكمة قال أن الجلسة ستكون يوم الأربعاء استغربت من سيناريو اللعب بالمشاعر الذي أداه على أكمل وجه نزلت ذلك الأربعاء وقمت بإجراءات الطلاق المدني والإسلامي لم يكن لي حل سوى أن أعود إلى حضن عائلتي أخذت حقائب الغربة التي جالت كثيرا في مواطن الوحشة ، الوجهة تركيا حيث سأقيم كانت الرحلة إلى تركيا قد خففت عني القليل من الآلام .. كنت أتظاهر لنفسي أنني غير مبالية بعليل قلبي لكني كنت أعلن حرباً في داخلي .

كانت الأحداث تتسارع وكأنني في سباق مارطوني أردت أن تستقبلني عائلتي ضاحكة مبتسمة إلا أن الجو كان يكتنزه الضباب و البؤس وكان على عائلتي أن يملؤوا فضاء الحزن الذي في داخلي مرحًا واهتمامًا إلا أن ذلك الاهتمام لم يكن طويلاً اكتشفت أنني في حكم المطلقة هذه لعنة الأعراف كنت لا أزال أكتب في أحداث روايتي وأطلقت عليها أسم « طلاق روح « لم أكن أظن يوما أن يتخلى عني من إعتبرته سندي في غربتي لكنه جرح مشاعري وألم روحي

غربني في غربتي وطلق روحي عن جسدي ما كان ذنبي قررت أن أخصص فصل من الرواية رسالة إلى طليقي أتيت بورق وقلم ورحت أخمن ما أكتبه حلت بيني وبين الكلمات ما أكتبه ثم صفنت لمدة دقيقة وقلت سأكتب ما يأتي في بالي « مرحبا كيف حالك أتمنى أن تكون في أتعس حال ستقول كيف تتمني أن يكون شخص تعيس سأجيبك أنت أحزنتني و قطعت شرايين قلبي وكيف لا أتمنى لك ذلك سأقول لك أنني تجاوزتك وتجاوزت ندوبك التي تركتها على روحي أأكد لك ذلك لم تعد تعني لي وذهبت بعيدا ولن ترجع لي مرة ثانية لكن أأكد لك أن الخذلان من شيم المنافقين لا تنسى هذا وداعا للأيام البائسة التي قضيتها معك»

أنهيت الكلمات وبها أنهيت الرواية إلا أن ذلك الحزن حكم على روحي بالإعدام لم يعد يتركني وهل كل ذكرياتي حزينة ، أظن أن الحزن أصبح رفيقي في وحدتي لا أحد غيره يبكيني ويفك عني رتابة الأجواء ..

أصبحت على كل الألسنة مطلقة مذنبة يقولون كيف يطلقها زوجها بدون سبب أكيد يوجد سبب نعم حتى أنا متفاجئة مثلكم بدون أي ركن سببي أنا في أعرافهم « المذنبة «

تقول لي أمي أني أصبحتُ مطلقة الآن لن أستطيع الخروج بمفردي ولا التسوق لوحدي ستكون هي عرابتي في كل خرجاتي ستكون حارستي فأنا الآن مطلقة يجب دائماً أن أتذكر « أنا مطلقة « فأنا الآن عار في مجتمع ذكوري يتهم المرأة .. ويبرأ الرجل لأنه ذكر ، أنا كيان قبل أن أكون مجرد امرأة قدرت عليها الأيام ويلات النحيب والحروب ليالٍ طويلة قضتها باكية .. صارخة ..

ساجدة لله أتوسل .. «رُدَّ لي أدهم سالمًا» لكنه عاد سالمًا ولم يعد زوجي ..عاد طليقي ..

أصبحت كلمة طلقة أقبح كلمة أسمعها يمكن بسبب سمعي لها هاته الفترة بكثرة لكنها تجاوزت الحد المقبول لذلك سأتجاوزك أوليس من حقي !؟

يوم جديد

الساعة الثامنة بتوقيت تركيا ، قمنا صباحًا أنا وأمي إستعدادًا

لرحلة نشر روايتي « طلاق روح « التي أيقظت في نفسي رنيم جديدة كانت الرواية انتقام من الأحيان التي مررت بها عندما وصلت لدار النشر أتممت عملية التعاقد وقال أن الطبع سيكون في مدة شهرونصف وافقت ورجعت للبيت..

كان نفس الشعور الذي انتابني يوم نشري للرواية الأولى لم يكن يتغير ربما لأن فؤادي نابض للكتابة حبي للحرف عشق أبدي لا ينفك ولا يختفي القلم ونيسي وأنيسي..

كانت المباني في الطريق البيت مشعة أملاً تسيطر على ناظري وتغزو عيوني جائحة من التمعن أشكال البيوت التركية مع منظر السماء والغيوم كان ملهم جاءني حينها عبير الكلمات فاستقبلته ، أتذكر أني أخذت دفتر من محفظتي وقلم وصرت أكتب .. كتبت « في مقعد خلفي للسيارة ، أتأمل في الطريق التي تركتها أو ربما تركتني ..!

لم تكن هذه سوى نهاية لمسافات دامت العديد من الألآم ، والآهات و العديد من الضحكات والبسمات .. كانت تجتاحني الذكريات ، الأقوال والأماكن ، كانت جائحة من الكثير من المراحل ، أخذتني ذاكرتي إلى كل محطات حياتي .. تجاوزت الكل ذاهبة إلى الماضي ..الوطن .. الحروب .. الخوف .. الاغتراب .. الوحدة .. الفرقة .. كنت ولازلت حاضنة للكلمات وعاشقة للحبر..

عدت للبيت وحاملة على كتفي كتل من الكلمات التي أثقلت روحي .. أخذت الأصابع تكتب مجموعة الجمل التي تسمعها من ذاكرتي « برغم العداء يا وطني ستبقى صامد .. برغم الأذى ستأذن مساجدك .. تقرع أجراس كنائسك .. رغم الخوف ستتجدد الأحلام وتختفي الهموم رغم الرصاص سيعلو اسمك صامدًا .. سوريا ستكونين أم وأب و ابن عانقي ثكلى .. أحضني أرملة .. ساندي أيتام ..راغبين في الرجوع لكن الواقع أفظع .. أقسى لن تصفه كلمات ولا مصنفات .. سامحينا .. لا نستطيع .. ولن نرجع !!

لا تنتظرينا .. أرجوك هذا آخر اعتذار..

ستبقين دائما محفورة في جدران الذاكرة .. ستبقين ساكنة في أرواحنا .. ستبقين نابضة ..!

«لا تعتقد أبدًا أن الحرب ، مهما كانت ضرورية
أو مبررة ، ليست جريمة.»

إرنست همنغواي

انعزلت عن عالم الاساطير والخيال وجلست إلى نفسي قابلتها وجها لوجه ، « لم أعد أعرفك يا نفسي هل غادرتي مثلما غادروني الأشخاص و الأشياء !

أقسم القدر على أن يبقيني على قيد الحياة بعد كل هذه المعارك التي عزمت على قتلي في كل مرة أموت ثم أحيا من جديد تلفظني أمواج الحياة إلى اليابسة بعدما شربت كل مرارها إلا أنني أعيش بعد كل ذلك ..

٧١٠٢ بعد سنة من الطلاق

وقف متثاقلا على الجدار وكأنه يرمي بثقل همومه عليه شاحب اللون يبدو عليه أنه جاء ليزف لنا خبر وصول المسلحين إلى تركيا وهاهم في مجمعنا السكني يقصفون البيوت و ينحرون النساء لسانه معقود إلا أن تظهر على ملامحه وكأنها تتكلم جلسنا لا نتفوه بكلمة ننتظر الكلام لينطلق والآذان كلها في استماع قال (لابد أن نرجع !) كانت هاته الألفاظ كالبرق سريعة حارقة تلاشت الألوان من أمامنا لم يقوى على الحديث برزت علينا الصدمة ملامح الكلمات تاهت بنا في نفق مظلم معتم لا ينتهي .. قضينا أول أيام من خبر العودة في وجوم تام ، لا كلام ولا سؤال أعين تترقب ، أفكار ضبابية ، غرقنا في نهر الصدمة وخلا الرأس من أحلامه التي تركناها على الوسائد ..

« إن الأوضاع تتحسن في سوريا ، أخبرني أحمد أن السكان رجعوا إلى بيوتهم وصمتت الحرب و الإرهاب غادرو المناطق وحلب ازدهرت من جديد لا يضمنا إلا وطننا ، الوطن بحر وإن غرقنا فيه «

تجمعت المدن باريس ، اسطنبول ، حلب ، اللاذقية هل لن تكفوا الرحال ، ألم تسأم حقائبكم من الترحال..

هذه السنة كانت سنة القاتل المتعدد الأطراف ، حرب أهلية بامتياز ودولية بصفة فعلية تداخلت كل الجبهات إلى أن أصبحت سوريا أرض المعركة الكل يتقاتل من أجل أن تموت سوريا ، لا تهم الأرض الأهم هو الدمار الفوز يكون بعد كل تشويه للحياة هنا .. عرض العتاد المسلح هو اهم ركن في توازن القوى ، هنا نحن في الحرب العالمية الثالثة مدن كبيرة بلا سكان ، عمارات تتملكها جبهات قتال والضحية الأقل ضررا هو الإنسان في هذه الرقعة الجغرافية من الكرة الأرضية تنتهك حقوق الإنسان بكل شفافية.. هذه المدينة غدت لا تشبهنا .. تنحرنا .. تبتسم على مقبرنا ..نحن سنصمد على أرضك رغم المهالك .. لن نغادرك أبدا..